الفصل الثاني:
المنظمات التابعة للماسونية
قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني في عام ١٩٠٣م

أولاً: اللوثرية في ألمانيا وما حولها:

أورد الأب لويس شيخو في كتابه السر المصون في كراسة الأول عن نشأة الماسونية:

(" قيل إن أول عهد ذُكر فيه الماسونية ووصف شيء من أعمالها إنما هو عهد كولونيا من أعمال ألمانيا كتب سنة ١٥٣٥م، وتردد العلماء في صحته، فمنهم من أثبت، ومنهم من أنكر، وفي هذا العهد ذكر لأول مرة اسم الفرمسون مع ذكر الرتب الثلاث الشائعة بينهم، الطالب والشريك والأستاذ.

ويفتح كاتب هذا العهد كلامه بذكر الماسونية والمدن التي أنشئت فيها محافل الجمعية، ثم يلخص ما ينسبه الناس إلى الجمعية الماسونية من الدسائس، وكيف شاع بين الجمهور أن غاية الماسون التمرد على السلطة الدينية والمدنية، وأن الناس ينسبون إليهم قلة الدين، ويلومونهم على كتم أسرارهم، وتلافيًا لما ينتج عن تلك الشكايات قد اتفق رؤساء الجميعة الماسونية على وضع بعد البنود على الأخوة أن يحرزوها ويأنسوا بها ") [١].

وإذا صح هذا العهد فإنه يمكن التعليق عليه بما يلي:

١- كتب مارتن لوثر في عام ١٥٢٣م:

" المسيح وُلد يهوديًا، وكان قد قام قبل ذلك بحركته التي دعاها بالإصلاح، ونشأ عنها البروتستانت، فإنه يمكننا القول أن هذه القوة الخفية - التي كان اسمها آنذاك الماسونية - قد دفعت بمارتن لوثر إلى ثورته ".

٢- إن هذا العهد والموجود في كولونيا من ألمانيا بدعم فكرة أن

(١) السر المصون، للأب لويس شيخو، الكراس الأول ص ١٢.

مارتن لوثر هو من جماعة الجمعية الماسونية وأمير كولونيا هو الذي حمى مارتن لوثر من بقية الأمراء حينما تحرك مطالبا بالإصلاح الديني، ووقف المذهب الكاثوليكي.

٣- إن التهم التي لا تزال توجه إلى الماسونية هي نفسها التي ذكرت في هذا العهد.

٤- في نهاية العهد يلاحظ أن هذا القرار موقع من تسع عشرة جمعية وقع عليه رؤساؤها بإمضائهم وكلهم من ألد أعداء الكاثوليكية:

- هيرمان دي فياك، أسقف طردته الكنيسة، لأنه تشيع بالشيعة البروتستانتية وكان أسقفا على كولونيا.

- فيليب ملنكتون، أحد أنصار لوثر، وقد ساعده ضد البابا.

- كولين رئيس البروتستانت الفرنسيين.

ولكن المؤرخين شكوا في صدق هذه الوثيقة.

والشيء الذي يهمنا أن هذه الوثيقة نشرت بعد قيام الشيعة البروتستنتية، وفي تلك الأثناء أشهرت البروتستانت الحرب على المذهب الكاثوليكي من كل حدب وصوب، وأملهم أن يستأصلوا آثاره.

كانت البروتستنتية جاهرت بحرية الرأي واستقلال الضمير، ففتح هذا بابًا واسعًا للجدال والخصومة. وبدأت الشيعة البروتستنتية في الانقسامات، **ومن أقسامها:**

١- الكالفينية، نسبة إلى كالفن أحد الآباء الذي أنشأ المذهب باسمه.

٢- الزونجلية، نسبة إلى أحد الآباء (زونجل) وسمى المذهب باسمه أيضًا.

٣- المذهب الأنجليمكاني وهو الذي تبعه الإنجليز.

٤- البيوريتانية أو التطهيرية وسنوضحها على حدة.

وتفرعت كثيرًا كثيرًا، وكانت كل جماعة تختلف عن الأخرى، وتنفى

ما قالته، إلى أن وصل الأمر بهم إلى حد جحود الوحي، وتسويد العقل ونكران الشريعة، وهذا ما فعله فولتير فيلسوف الثورة الفرنسية: واشتهر منهم ليوليوس سوسين وابن أخته فوستوس سوسين، وصرحًا بمعاداة الدين ولاسيما المذهب الكاثوليكي، وانتشرت الجميعات السرية في البلاد البروتسنتية، وعضدها كروميل في إنجلترا، وقد انفصل الملك هنري الثامن عن كنيسة روما، فساعد هذا الانفصال تيار الاصطلاح على الدخول إلى إنجلترا، وتمركزت حركة الإصلاح الديني فيها ، وهناك ظهرت أول دعوة لانبعاث اليهود كأمة الله المفضلة في فلسطين على يد عالم اللاهوت اليهودي البريطاني برايتمان ١٥٦٢ - ١٦١٧، نشر مارتن ١٥٣٢ كتاب (المسيح ولد يهوديًا) وفي هذا الكتاب يكشف مارتن لوثر النقاب عن وجهه ليرينا أنه يهودي **ومن خلال هذا الكتاب نلحظ ما يلي:**

١- لقد اعترف مارتن لوثر بتفضيل اليهود، وأنهم شعب الله المختار.

٢- ربط عيسى باليهودية حينما قرر أنه ولد يهوديًا، ولهذا لا يمكن أن يكون الإنسان مسيحيًا إن لم يكن يهوديًا في الأول.

٣- إن الكتب المنزلة كلها نزلت على اليهود، وفي هذا تفضيل لليهود من جديد، لأنه نفى الكتب التي لم تنزل بواسطة اليهود.

وهكذا انتشرت الماسونية بين صفوف البروتستنت انتشار النار في الهشيم، لأنه أقرب إلى اليهودية من الكاثوليكية في تلك الأيام، وكان اليهود - بجمعياتهم الخفية - يساعدون البروتستنت ويشجعونهم على الانفصال وتكوين المذاهب، فكثرة المذاهب تحطيم للأمة والدين، وبهذا يستطيع اليهود تحطيم الدين المسيحي، كيف لا؟! وقد قامت الحروب بين المذهبين فكانت الكارثة الكبرى في أوروبا التي أكلت الملايين من جراء هذا الانقسام، ولعل الثورة الفرنسية كانت أشد وطأً على أوروبا والتي كان من أسبابها جماعة الماسون، والذين اعترفوا بها هم ذاتهم، وبأعمالهم الإرهابية العنيفة، ولقد كان نابليون بونابرت الذي طحن أوروبا وفرنسا واحدًا منهم.

لقد كان العهد القديم قبل لوثر مهجورًا ولا يعرفه أحد إلا القلة القليلة والندرة النادرة، حتى إذا وقف لوثر بحركته أخذ بالظهور، وصار العهد القديم في كل منزل بطبعته العبرية، وكانت بلاد البروتستنت بملوكها وأساقفتها حماة للماسونية، ولا عجب أن بعض العميان الكبار لم يسعهم إلا الاعتراف بماسونية الماسونيين، بل إن يهودية لوثر هي التي كانت الحجر الذي أصاب عدة عصافير [1]:

١- أصاب الكرسي البابوي بأكرم أبنائه.

٢- استغل الدين للمصلحة اليهودية استغلالاً ضخمًا منذ ربط العهد الجديد بالعهد القديم.

٣- قسمت أوروبا إلى قسمين، وربحت اليهودية القسم الأول في حركة البروتسنت في ألمانيا، ثم إنجلترا بالمذهب الأنكليفاني، ثم هولندا وسويسرا بالمذهب الكالنتيني والزونجلي، ثم فرنسا في الثورة الفرنسية، وإيطاليا في توحيدها وتخليصها من الحكم البابوي، وحصر البابا في مساحة صغيرة من روما.

وحرضت اليهودية أوروبا على أوروبا، لتبقى اليهودية في أمان، فاليهود لا يمكن أن يعيشوا بين قوم ساد بينهم الهدوء والوئام.

وقامت الحرب النابليونية في أوروبا، وقامت الحرب الألمانية ضد فرنسا، وفرنسا ضد ألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر، وقامت الحرب العالمية الأولى ضمن حلفين: ألمانيا - النمسا - تركيا. وفرنسا وإنجلترا، وشملت العالم في بداية القرن الجديد، ثم قامت الحرب العالمية الثانية بعد نهاية الأولى بعشرين عامًا تقريبًا.

ومن يلحظ أن البلاد التي شاعت فيها البروتستانتية هي البلاد التي تقبل الماسونية والآراء اليهودية، ولا غرو فإن المبادئ البروتستنتية تمهد

(١) يراجع أيضًا السر المصون، الكراس الأول ص ١٠٤.

الطريق لها [1].

وقد أشار السماك في كتابه الأصولية الإنجيلية إلى قبول البروتستنت الآراء اليهودية؛ ثم التهويد من خلال الحركة البروتستنتية أولاً، وبعد ذلك من خلال التطهيرية، وكانت الكنيسة الكاثوليكية تتمسك باعتقادها بأن ما يسمى بالديانة اليهودية والأمة اليهودية قد انتهى، وأن الله طرد اليهود من فلسطين، وشتتهم في بقاع الأرض عقابًا على صلب المسيح وكانت الكنيسة تعتقد - أيضًا - أن النبوءات التي تتحدث عن العودة تشير إلى العودة من بابل، وأن هذه العودة قد تمت - بالفعل - على بيد الإمبراطور الفارسي قورش.

كان الفيلسوف الديني لهذا الاعتقاد هو القديس أوغسطين الذي كان يعتبر القدس مدينة العهد الجديد، وأن فلسطين هي إرث المسيح للمسيحيين.

وتنكر الإصلاح الديني لهذا الاعتقاد، وطرح الإيمان بأن اليهود الأمة المفضلة، وهذا ما يثبت يهودية رجال الدين الإصلاحيين، إذ لا يعقل أن يفضل الإنسان الآخرين عليه إلا في أحد أمرين؛ إما أن يكونوا أصله، أو أنه سينسب إليهم، ولهذا، فهم يصبحون في رأيه أفضل من قومه ويؤمن الإصلاحيون أن عودة اليهود إلى فلسطين تحقق وعد الله، وأن هذه العودة ضرورية لعودة المسيح، وقيام مملكته ألف عام.

ومن خلال البروتسنت تغلغل الفكر اليهودي إلى قلب الحركة الدينية، حق استطاع الفيلسوف اليهودي الهولندي هوجوغرونيوس أن ينشر كتابًا عنوانه حقيقة الدين المسيحي سفه فيه التحقير المسيحي لليهودية، وأبرز الجوامع المشتركة بين اليهودية والمسيحية الجديدة البروتستنتية.

ثانيًا: البيوريتانية في إنجلترا:

وقد يجدر بنا التنويه إلى بعض النقاط:

(١) السر المصون، الكراس الثاني ص ٣٤.

١- الحركة البيوريتانية حركة يهودية لبست ثوب المسيحية فسموا أنفسهم بالمتطهرين.

٢- شهدت المرحلة البيوريتانية في القرن السابع عشر العصر الذهبي لهذه المعتقدات في العهد الإليزابيثي.

٣- في هذه المرحلة ظهرت الطبعة الأولى لنسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس، وبموجبها أصبح العهد القديم المصدر الأساسي، إن لم يكن المصدر الوحيد للاجتهاد ولاستنباط الأحكام والفلسفة الدينتين اللتين فتحتا أبوابهما بعد أن أبيح حق التأويل الشخصي على حساب إسقاط احتكار هذا الحق بالكنيسة عام، وبالبابوية خاصة.

٤- من جراء هذه المرحلة أخذت الخطوات التالية:

أ- استعمال العبرية لغة الصلاة في الكنائس وفي أثناء تلاوة الكتاب المقدس، وفي هذا ضرب اللغة السريانية (الآرامية) التي تكلم بها المسيح عليه السلام.

ب- تعميد الأطفال في الكنائس بأسماء عبرية، وهذا انتصار لليهودية، ونسيان الشهداء والقديسين المسيحيين، وبهذا؛ ضرب الدين المسيحي في أقوى أركانه.

ج- عُدَّ عيسى - عليه السلام - يهوديًا وهو ما كتبه مارتن لوثر، وبهذا؛ نزع عنه القداسة، فهو خال من عنصر الألوهية (الأقنوم الإلهي)، وبهذا سقطت الأقانيم الثلاثة للمسيح، وهذا ما أرادت الماسونية تقويضه، وهي التي تتهم المسيح، ونسبَّه، وتبصق عليه، وترمي أمه بالزنا.

د- عُدّ اليهود الأمة المفضلة عند الله، وكان اليهود لا يعتبرون كلمة (الله) أنّه الخالق وإنما يعتبرون (يهوه)، وبهذا؛ اعتبر الدين اليهودي دينًا موحدًا.

٥- طالبت مجموعة الفلرز؛ وهي مجموعة بيوريتانية الحكومة بأن تعلن التوراة دستورًا لبريطانيا.

٦- وجَّه عالمان لاهوتيان في هولندا وهما بيوريتانيان تطهُريَّان مذكرة إلى الحكومة البريطانية طالبًا فيها بأن يكون للشعب الإنجليزي ولشعب الأراضي المنخفضة (الشعب الهولندي) شرف حمل أولاد إسرائيل وبناتهم إلى فلسطين على متن سفنهم باعتبار الدولتين أقوى دول العالم بحريًا.

٧- عد البيوريتان أن فلسطين أرض الميعاد، ويجب أن تكون لليهود.

٨- تغيرت النظرة إلى فلسطين من حيث أنها وطن المسيح ومكان ولادته ومحل وحيه وموته إلى أرض الميعاد.

٩- عودة المسيح لن تتم إلا إذا احتل اليهود فلسطين.

١٠- تبنى كروميل؛ وهو قائد ثورة البيوريتانيين مضمون المذكرة، وقام بثورة ضد الملك هنري الثامن. وكان على مدى عشر سنوات قائدًا ورئيسًا للمحفل البيوريتاني التطهري، وقد دعا إلى عقد مؤتمر ١٦٥٥م في الهوايت هول، وسنَّ تشريعات لعودة اليهود إلى بريطانيا، وألغى قرار النفي الذي اتخذه الملك إدوارد.

١١- يقول البيوريتان إن الحرب الأهلية التي قامت في إنجلترا قبل ظهور الحركة البيوريتانية واستلامها الحكم إنما هي عقوبة وغضب من الله بسبب سوء معاملة اليهود.

١٢- هُزم الكاثوليك في هولندا، وقامت جمهورية على أساس المبادئ الكالفينية، وهذا الانتصار البروتستنتي أدى إلى انتشار التيار المسيحي الصهيوني.

ومن هذه النقاط نستنتج أن البيوريتانية ليست إلا بنتًا من بنات الماسونية نبتت هذه الأفكار، أفكار الماسونية، وقد طبقتها، وسارت بها شوطًا كبيرًا دعمًا للصهيونية واحتلال الأرض العربية في فلسطين.

ثالثًا - جماعة النورانيين [حملة النور]:

وهي مؤسسة يهودية ماسونية أسسها آدم وايزهوايت في ألمانيا عام

١٧٧٦م وكان من رجال الدين المسيحي، ثم ارتد عن دينه وأسس محفل الشرق الأكبر ليكون مركز القيادة السري إلى إقامة حكومة عالمية واحدة وكانت الخطة لتحقيق ذلك هي:

١- استعمال الرشوة بالمال والجنس للسيطرة على الشخصيات ذات النفوذ والمراكز الحساسة على مختلف المستويات في جميع الحكومات وفي مختلف مجالات النشاط الإنساني.

٢- على أساتذة الجامعات النورانيين الاهتمام بالطلبة المتفوقين عقليًا وثقافيًا والمنتسبين إلى أسرة محترمة ليولدوا فيهم الاتجاه نحو الحكومة العالمية وتدريبهم تدريبًا خاصًا عن طريق ترشيحهم للمنح الدراسية وترسيخ الفكرة العالمية في أذهانهم كوسيلة وحيدة للخلاص من الحروب والكوارث، وأنهم بصفتهم من ذوي المواهب أحق في السيطرة على من هم أقل كفاءة وذكاء.

٣- تستخدم الشخصيات ذات النفوذ التي تسقط في الشباك والطلاب الذين تلقوا التدريب كعملاء بعد إحلالهم في المراكز الحساسة من خلف الستار لدى جميع الحكومات بصفتهم خبراء بإمكانهم تقديم النصح إلى كبار الدولة، وليستفاد منهم في تنفيذ المخططات السرية.

٤- السيطرة على وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وغيرها، وتعرض المعلومات والأخبار بما يدخل الاعتقاد أن الحكومة العالمية (الدين الموحد واللغة الموحدة) هي الطريق الوحيد لحل مشكلة العالم.

ولا تزال هذه الوسائل تستخدمها المنظمات الصهيونية السرية والعلنية في العالم كالماسونية والمنظمات التابعة لها حتى الآن.

رابعًا: أحباء صهيون:

أُسِّست هذه المنظمة عام ١٨٣٤م، وأصبح محفلها ببرلين

وحـدها عـام ١٩٠٣م يضـم نحـو ٨٠ فرعًـا تجتمـع مـع أمهـا الماسـونية بالتظـاهر بمسـاعدة المحتـاجين وذوي العاهـات، وتقـوم بخـدمات للصهيونية ثمينـة، مهمتهـا التقـاط الأخبـار واحـتلال مراكـز حساسـة في الـدول، وشخصـياتها مرموقـة، تـزور الشـرق، فيسـتقبلها بسـذاجته وغفلته، ويفضي لها بـما تنطـوي نفسـه بعـد تبـادل الإشـارة، غـير عـالم أنـه يقابل أخطر منظمة سرية في العالم.

ولهـذه المنظمـة فـي لنـدن إدارة ومكتبـة، تُرحِّـب بأصـدقاء صـهيون، وتعرض المؤلفين بـالثوب الـذي ترضـاه لهم، فتعـرف للأصـدقاء فضـلهم، وتهدد الـذين يتعـاملون فـي الحيـاة بـوجهين ولسـانين، كمـا هددت المؤلـف التركـي الجنـرال محمـد جـواد رفعـت أتلخـان. إذ كشـف بكتابـه " إسـلامي صـار " أن جهـود هذه المنظمـة بتأسـيس مـدارس الأليـانس والسـعي بإنقـاذ دريغوس والقضاء على أعداء صـهيون.

لهـذه المنظمـة فـروع مكلفـة بـدرس نفسـية كـل سياسـي، أو قائـد، أو جندي، أو زعيم فقد زعامته، أو موظف خسر وظيفتـه، أو تـاجر مسَّته يد التـأميم، أو إقطـاعي خسـر بعض أرضـه، أو رئـيس عشـيرة لـم تواتـه يـد الـدهر، أو مطلـق شـخص يحقـد علـى الأوضـاع القائمـة لتبتـاع الضـمائر المقتولة أو المستترة (ولكل ضمير ثمن).

لقـد انكشـفت - منـذ سـنوات قليلـة - خليـة شـولاكوهين، واجتررنـا الاكتشـاف، ثـم نسـيناه، ونسـينا أمثالـه، أشـياء كثيـرة تشـكل باسـم أسـتر، يهوديـت، ويـتغلغلن فـي الشـعوب، ولاسـيما العربيـة كأمهـات، ومربيـات، وراقصـات، وممرضـات، وسـكرتيرات، ومضـيفات... ثـم أسـدل عليهـا الستار بقدرة قادر وسحر ساحر.

خامسًا: جماعة بـني بـريث [أبـناء العهد]:

هـي منظمـة صـهيونية ماسـونية تأسسـت عـام ١٨٤٣ مـن قبـل اليهـود المهـاجرين مـن أوروبـا الشـرقية إلى الولايـات المتحـدة

الأمريكية، وعلى رأسهم اليهودي الألماني هنري جونز - وقد اتخذت هذه المنظمة آنذاك نيويورك مقرًا مركزيًا لها ثم أصبح لها محافل (فروع) في أرجاء الولايات المتحدة كلها تقريبًا وإنجلترا وقد تأسست لها محافل أيضًا في كل من باريس وبرلين عام ١٩٠٣ (وكان محفل برلين يضم أكثر من ثمانين شعبة) ثم أصبح لها محافل تقريبًا في جميع أنحاء العالم، تسيطر على كثير من الحكومات، ولها محفلان بمصر هما محفل بنيامين دافيد رقم ٤٣٦ طُبع نظامه الأساسي باللغة العربية، ومحفل نيوثبت رقم ٣٦٥.

كما أنشأت أول محفل لها في فلسطين عام ١٩١٨م لتسهم في بناء عدد من المستعمرات اليهودية.

وهي ترفع من شأن اليهودية بمقدار ما تهدم من شأن سواها، كما ترفع من شأن مهاجمي الأديان الأخرى، وصنعت من فرويد أحد أقطابها مرجعًا لعلم النفس، كما صنعت من دور كايم مرجعًا لعلم الاجتماع.

وأقام فرويد فلسفته على الإلحاد بالله، والدعوة لإطلاق الطاقات الجسدية، واضطلع بمهاجمة الأديان موضوعيًا وعمليًا والقضاء على الأخلاق.

وقد صرح نابليون الثالث ملك فرنسا ١٨٥٩م قائلاً:

" يجب ألا نخدع أنفسنا، إن الدنيا تدار من قبل المنظمات السرية.

وقال والتر ريتناد الوزير اليهودي وعضو جمعية بناي بريث:

" إن ثلاثمائة رجل من رجال السياسة المتعارفين فيما بينهم يديرون الأمور في أوروبا، والآن في العالم وينتخبون أخلافهم فـ (بناي بريث) إحدى المنظمات التي يشترك رجالها في إدارة العالم ".

ويقول إف ي بيجون (الماسونية التاريخ والمعاصرة - ٣١٠):

" ونتيجـة لـذلك، فقـد ظهـرت عـدة تنظيمـات مختلفـة مـن حيـث شـكلها ومضـمونها التنظيمـي ومـن حيـث تسـميتها ووجهـات نظرهـا، ومـن تلـك المنظمـات ذات الطـابع الصـهيوني، جميعـة بنـاي بريـث التـي أسسـها اليهـود فـي عـام ١٨٤٣م فـي مدينـة نيويـورك وهـي لا تقبل سوى اليهود فقط.. ".

ولمنظمة بناى بريث فروع في كل دولة تنفذ منهاج المحفل الكوني القائل:

".. يجـب أن نخلـق الجيـل الـذي لا يخجـل مـن كشـف عورتـه، ذلـك لأن تفتيـت الأمـم إلـى مجموعـات مقصـد مـن مقاصـد الجمعيـات السـرية، أمـا العيـون المبصـرة والقلـوب الواعيـة، والأنـوف الحساسـة، التـي تستنشـق مـا وراء الأكمـة وتحـاول النصـح والتنبيـه، فهـي - فـي رأي أقطـاب الجمعيـات السـرية - طامعـة بالكراسـي، حاقـدة موتـورة، يجب اجتثاث جذورها... " (١).

لذا فإن لمنظمة بناي بريت فرعان:

١- فـرع سـري للسـيطرة علـى التجـارة والتخطـيط لمـا يفضـي إلـى الاستغلال والاحتكار.

٢- فرع يدرس وضع الدولة السياسي لاحتلال عملائه مراكز حساسة في تلك الدولـة - ويبنـي هذا الفرع تخطيطـه علـى الدراسـة الجيدة الدقيقة للسير الذاتية للحكام والثغرات ونقاط الضعف فيهم، وإثـارة مخـاوفهم من معارضـيهم، ثـم تقـديم لهـم ولمعارضـيهم فـي آن واحـد المسـاعدات كمـا حصل مع كروميل بإنجلترا، أو الإغراء بأصوات الانتخابات كما يرى في الولايات المتحدة الأمريكية.

أمـا إذا كـان الحكـم عسـكريًا فهنـاك إغـراء العـداوات وتـأجيج نـار

(١) الماسونية والمنظمات السرية لعبد المجيد همو.

الحقد بين الأجنحة المتنازعة على الصدارة والألقاب، مع نفث العداوة بين العناصر التي يتكون منها هيكل مطلق [١]، ومن مهام جمعية بناى بريت التمرين لكل من يريد تنفيذ مهمة ماسونية، إذ تدر به لتعدم به، ثم لتقدمه بعد ذلك، ليذهب في ظلام الكتمان، وتحيل المهمة لمن تختاره، حرصًا على دفن سر المهمة التي نفذوها، أما الفارس المكلف، فيستحيل أن يتخلف إذ لم ينس لحظة وقوفه بالوادي متأبطًا سلاحين، متعهدًا أن ينفذ بالأول ما يؤمر به، أو بالثاني روحه كما رأينا بحادث الضابط التركي أحمد جميل الذي لم يستطيع التوفيق بين واجبات وظيفته وواجبات ما كلفه به المحفل، ففضل الانتحار.

هذا وقد افتضح أمر جماعة بني بريث الماسونية عندما شاركت في مؤتمر بازل الصهيوني عام ١٨٩٧م وصرح رئيسها في هذا المؤتمر بأنهم - أي اليهود - في حاجة ماسة لعدم رضا العمال من أجل تخريب المدنية المسيحية والإسراع في نشر الفوضى.

وعين رئيسها فيليب كلوزنيك في عهد إيزنهاور رئيسًا للوفد الأمريكي للجمعية العامة للأمم المتحدة [٢].

وفي عام ١٩١٣م أسس المحامي اليهودي الماسوني ليفنجستون " عصبة مناهضة الافتراء " التابعة لبني بريث وجميع أعضائها من اليهود الماسون ويضم مجلس المديرين (اللجنة القومية) ١١٠ أعضاء منهم ٥٢ عضوًا من الطائفة اليهودية و٥٨ عضوًا من فروع بني بريث وتجتمع سنويًا. وكان مقرها مدينة بلومنغتون في اللينوي ثم نقلت مقرها عام ١٩٤٧ إلى نيويورك.

(١) يراجع أيضًا المصدر السابق.
(٢) يراجع الماسونية في المنطقة ٢٤٥ لأبو إسلام أحمد عبد الله.

وتهدف إلى تعزيز موقف أمريكا لمناصرة إسرائيل ومحاربة العداء للسامية وحماية يهود العالم ودعم إسرائيل والدفاع عنها في كل أعمالها العدوانية تحت شعار الدعوة لتعزيز التفاهم بين الأديان.

ورؤساء الولايات المتحدة الأمريكية على اختلافهم حريصون على الإشادة بالأعمال التي تقوم بها هذه المنظمة والعصبة التابعة لها في تحقيق المخططات الماسونية والأهداف الصهيونية، وتعتبر أخطر المنظمات الماسونية الصهيونية في العالم.

ووصف هاري ترومان محاولاتها " كوردة في قلوب الشعب الأمريكي وعقوله ".

وقال دوايت ايزنهاور لها: " أنك بتعليم مواطنيها التغلب على شرور التحامل ساعدت في جعل بلدنا مكانًا أفضل للعيش "، ووصف جون كيندي " سعيها الذي لا يكل في معاملة جميع الأمريكيين " بأنه " مساهمة جوهرية وباقية لديمقراطيتنا "، وعبر لينـدون جونسون عن تأييده لها بقوله " حيثما تخترق مشاعلكم يضيء التسامح والاحتشام وعمل الخير ويختبئ التعصب والتحيز حيثما تظهرون "، ووقع ريجان قرارًا مشتركًا للكونجرس يعلن فيه أن يوم ١٢ نوفمبر هو يوم " عصبة مناهضة الافتراء " [١].

(١) لي أودبرين - المنظمات اليهودية الأمريكية.

سادسًا: البابية والبهائية:

١ - البابية:

قد يلحظ القارئ هنا بأنني لم أفصل الحركتين عن بعضهما، لأن إحداهما ولت الثانية، ولهذا لا حاجة بنا إلى فصل الأولى عن الثانية - وهذا ما يعتقده أيضًا أغلب الباحثين.

ولدت البابية على يدَي يهودي أعلن إسلامه، وهو يسمَّى محمدا، وقد ولد له غلام سماه عليا، تزوج محمد من فتاة شيعية في مدينة شيراز، ولهذا؛ كتب المؤرخون عنه/ على/ أنه وُلد من أبوين شيعيين في أول المحرم ١٢٣٥هـ، وقد تسمى الأب بالميرزا رضا.

تتلمذ الابن على يدي السيد كاظم الرشتي الجيلاني الذي مزج التصوف والفلسفة بالشريعة، وانقطع عن دروس معلمه فجأة ولمدة طويلة. وظهر للناس بمظهر جديد، خالف به الدين الإسلامي الحنيف، وادَّعى أنه باب المهدي المنتظر، وأنه المراد من الحديث المشهور: " أنا مدينة العلم وعلي بابها " مقررًا أن الوصول إلى الله تعالى محال إلا عن طريق النبوة، كالبيت لا يتأتى دخوله إلا من الباب، والميرزا على هو ذلك الباب، وهو المقصود بالحديث، وليس الإمام على هو المقصود، وهذا سبب تسميته بالباب وأتباعه بالبابية، وقد ثابر على الدعوة إلى هذه المبادئ، فنفر منه العقلاء من تلاميذ أساتذته الإحساني والرشتي، وكفره أهل الحديث وعلماء الأصول، وآمن به السذج ومن له مصلحة، ومال إليه ضعفاء العقول والألباب.

وارتقى بدعواه، ونادى بدين جديد لا يمت إلى الإسلام بصلة، ناسخ لشريعة القرآن وما بين يديه من الشرائع، وقد لفق هذا الدين من عناصر إسلامية ونصرانية ويهودية ووثنية، ولقب نفسه باب الدين، ثم ترك هذا اللقب، وتلقب بالنقطة، وخالق الحق، مدعيًا أنه ليس نبيًا، وإنما هو شخص الله، تعالى الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

ولبى هذه الدعوى أناس كثيرون، وكان من أوائل من لبى هذه الدعوة الملا حسين الخراساني، فلقبه الباب لقب باب الأبواب، ثم لما بلغ تابعوه ثمانية عشر لقبهم بلفظة " حي " لأن الحاء في حساب الجمل ٨ والياء ١٠، وزعم أن اللاهوت وحدة مؤلفة من تسعة عشر أقنوما هي الباب، وهو الرئيس والثمانية عشر دعاة، وبثهم في أرض فارس يدعون له [١].

ثم اضطرب في دعواه، وزعم أنه محمد صلوات الله عليه، وأن الله تعالى نزل عليه كتابًا سماه البيان إشارة إلى قوله تعالى:{ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤} [الرحمن: ١ - ٤]، وكان يكرر - والعياذ بالله - أنا أفضل من محمد، وقرآني خير من قرآنه.

ثم ألف الرسالة العدلية، وفي هذا الكتاب أسقط الفرائض، وفي عام ١٢٥٩هـ، شخص إلى مكة وفي الطريق غرقت السفينة، فأدى إلى مدينة بوشهر بلد خاله، فطرده خاله وكفره.

وقبض على الجماعة والى شيراز، وعقد لهم جلسة لمناقشة دعواه، عقدها الشيخ أبو تراب كبير فقهاء شيراز مع الفقهاء، فأمر الشيخ بعد أن تجلى له كفرهم بقطع العصب العكبري لرجال الدعوة، وألقاهم في غيابات الجب، وبلغ حكومة طهران، وجيء بالباب من بوشهر ١٢٦١هـ إلى شيراز. وكان عامل شيراز ذكيًا داهية أوهم الباب بأنه اعتقد بدعوته، وعقد له مجلسًا مع فقهاء شيراز، وطلب العامل منهم أن يوهموا الباب أنهم قبلوا دعوته حتى يسجل ذلك على صحيفة ويكون أخذه باعتراف خطيٍّ، ولما أسقط في يده تاب عن أقواله وتراجع، ولكنه فر حينما أصابت الهيضة بلاد فارس، فاجتمع دعاته في أصفهان وكان واليها ممن يؤمن بالباب، ويكتم إيمانه، وطلب العلماء للمناظرة، ولما رأى الوالي أنه مغلوب على أمره، وخشى على نفسه اللوم إن أيده، وتبعة إيمانه به، كتم ذلك وأسره.

(١) كتاب الماسونية والمنظمات السرية لعبد المجيد همو - وأيضًا كتاب الحراب في صدر البهاء والبناء.

وقد حكم العلماء برأيين:

أ- القسم القليل حكم بجنونه.

ب- القسم الكبير حكم بكفره وقتله.

لكن الولي واراه عن الأنظار، وسمح له بالتأليف، فألف في أصفهان كتاب النبوة الخاصة، وأوهم الوالي الناس أن الشاه قد أخذ الباب إلى طهران، وسجنه، ولما مات الوالي، وانكشف أمره، نقلت الحكومة الباب إلى أذربيجان في قلعة جهريق بمدينة باكو، بالقرب من بايزيد على الحدود العثمانية، ومات الشاه محمد ١٢٦٤هـ وبويع ابنه الأكبر ناصر الدين شاه، واستطاع أتباعه الوصول إليه ليستمدوا أوامره، فحضهم على إعلان الثورة، والتهبت البلاد بالثورة ضد الشاه، وانضم إليه كل من له هوى ضد الحكومة والشاه.

كان الشاه قد عقد مجلسًا للعلماء، ليناقشوا الباب، وكان علماء تبريز هم الأقوى في هذا الاجتماع، وأفتى العلماء بكفره، فأعاده الشاه إلى سجنه، وذلك قبل الثورة.

فلما قامت الثورة قادتها الفتاة المعروفة قرة العين، والملا حسين الخراساني باب الأبواب، والملا محمد علي البار فروشي، والملا محمد علي الزنجاني.

فمن هي قرة العين التي لعبت هذا الدور الكبير؟

فتاة جميلة لقبها البابويون بدر الدجى، وشمس الضحى، ولقبها الباب بعد ذلك بقرة العين، وسماها البهاء بعد ذلك الصِّديقة الطاهرة.

تنتمي إلى عائلة فارسية، تلقت عنهم علوم الشريعة والآداب، كانت شاعرة خطيبة، آمنت بالباب، ومالت إليه بكل جوارحها، خرجت عن عصمة زوجها بغير طلاق، وأخذت تدعو إلى الباب، ونادت برفع الحجاب، وسمحت بتزويج المرأة من تسعة رجال،

ولما نهاها أهلها عن ذلك أمرت بقتل أبيها وعمها وزوجها.

التقت بـالملا محمـد علـي الفروشـي فـي قريـة دشـت، واسـتقرا بهـا، خطبت فيها **ودعت في خطبها إلى:**

١- نصرة الباب.

٢- تمزيق الحجاب، وإعطاء المرأة حقوقها، والسماح لها بالعديد من الأزواج.

٣- الدعوة إلى شيوعية المال.

والتقت قوات قرة العين مع قوات الشاه في معركة بالقرب من مازندران في هزار جريب، وكانت الدائرة عليهم، وافترقت عن البارفروشي، وذهبت إلى مازندران، قبضت عليها الحكومة بعد أن قويت عصبيتها، وقضت بإحراقها حية، وتفرق أصحابها بعد أن قتلت صاحبتهم.

ومن هو الملا حسين الخراساني؟

لم يستطع التعلم بما فيه الكفاية، ونقم على أساتذته، وانضم إلى الباب، ولقبه باب الأبواب، واختصه بالخلوة، وأنا به عنه بتبليغ الدعوة.

ذهب الملا حسين إلى أصفهان، واستمال الملا محمد تقى الهواتي، ومن ثم رحل إلى كلشان، ثم إلى طهران يدعو للبابية.

قبض على الملا حسين الخراساني، وسجن في خراسان إلى أن قامت ثورة ضد الحكم، ففر الخراساني، وحينما توفى الشاه توجه الخراساني إلى ما زندران، والتقى بالبارفوشى، وقامت المعركة التي تحدثنا عنها سابقًا، فر البابيون، ورحل الخراساني إلى الحصن في سراي سيزميدان، واجتمع لديه خلق كثيرون، واستطاع أن يحجب الملا فروشى عن الناس، ثم خاضوا معركة

في أول حكم الشاه ناصر، واستطاعوا أن يهزموا قوات الحكومة، ثم قتل الخراساني بعد ذلك في معركة أخرى.

انفرد الملا فروشي، وقبض على زمام الأمور، وخاضوا معركة أخرى، وخسر البابيون، وطلبوا الملا محمد على للمناظرة مع العلماء، وقتل الملا فروشي في مدينته، قتله أهل مدينته بعدما أسر، وأرسله الشاه نصار إليها بعد القبض عليه.

من هو الملا محمد علي؟

من زنجان، فقيه مشهور، تعلم على يدى المازندراني الشريف، ولكنه أصدر فتاوى بعد أن نال الشهادة منه - لا تلتئم مع فتاوى الشريعة، أحضره الشاه إلى طهران، ومنعه من الفتوى.

سمع الباب بذلك، فأرسل إليه - وهو في هذه الحالة صيد ثمين - وقبل بدعوة الباب، وحانت له الفرصة حينما مات الشاه محمد، ودعا الملا محمد علي إلى الباب في مازندران، وكانت دعوته كدعوة قرة العين، إلى أن استمكن، فثار ضد الدولة، وفتك البابيون بالناس، وهاجم حصن المدينة، وأخذه عنوة وكان جيشه يتألف من ثلاثين ألفًا.

ابتدأت ثورته في جمادى الآخرة ١٢٦٥هـ، وانتهت في نهاية ذي الحجة، وهلك الزنجاني.

مقتل الباب:

أرسل الشاه ناصر الدولة إلى عمه حشمة الدولة أمير أذربيجان يقول فيه:

" حضر إليك الباب في تبريز فخذ خطوط العلماء بقتله، فاقتله، والناس ينظرون إليه "، حكم على الباب في ٢٧ شعبان ١٢٦٥هـ، بالقتل، وقتل معه صديقه الملا محمد على الزنجاني.

٢- البهائيـة:

ولد الملا حسين على بن المرزا عباس المعروف ببزرك المازندراني النوري عام ١٢٣٣هـ، تقلب أبوه في مناصب الدول، ونشأ حسين على في طهران، وترعرع، وكلف بالتصوف حتى عد من كبار المتصوفة، وكان شقيقه المرزا يحي الملقب من الباب بصبح أزل يحذو حذو أخيه حسين علي فانضم معه إلى البابية.

دفع حب الغرور المرزا حسين على إلى الاندماج في سلك البابية. وكان أو ملتقى مع الباب حين سبق الباب إلى قلعة جهريق، واجتمعا معه في القلعة، وبايعاه على الكفر، وعاهداه على دعوة الناس إليه، ومن هناك انطلقا إلى طهران وما زندران يدعوان إلى الباب، وكان المرزا حسين على هو الذي دبر مكيدة اغتيال الشاه، فاستاقوه، وأهل بيته إلى السجن في طهران.

ولكن الصدر الأعظم شفع لهم، فنفاهم الشاه إلى بغداد، وكان الباب قد استخلف المرزا يحي صبح الأزل وسمى أصحابه بالأزلية، وجعل أخاه الأكبر البهاء وكيلا له، وأمره بحجب أخيه عن العامة حتى لا يناله السوء.

في بغداد نشط الأخوان دون خوف من السلطة الفارسية، فاحتج الشاه على الدولة العثمانية، فنفتهما إلى إستانبول لتضعهما تحت سمعها وبصرها، ثم نفتهما إلى أدرنة، فاختلفا فيما بينهما، فنفت صبح الأزل إلى قبرص والبهاء إلى عكا. استطاع البهاء سابقًا أن يحجب أخاه حتى تذمر جماعة أخيه منه، وكادوا يقتلونه، ففر من أدرنة إلى كردستان، وأقام قرب السليمانية، وظل سنتين يدعو لنفسه، وألف قصيدته الورقائية، وانحدر من السليمانية إلى بغداد، واستطاع بمساعدة أخوته أن يدعو لنفسه، وكانوا ثلاثة.

أما بقية أخوته، فلم يؤمنوا بدعوته وكانوا ضده، قبضت عليه الدولة العثمانية، وأعادته إلى أدرنة من جديد، وفيها جهر بالدعوة إلى نفسه، ونبذ أخاه، فوقع الشقاق بينهما، وانقسم الاتباع إلى الأزلية والبهائية، واستطاع البهاء أن يطرد أخاه صبح الأزل.

بدأ البهاء بمراسلة البابيين وتأليف الكتب يدعو فيها لنفسه، وادعى كلا الأخوين أنه رسول مستقل لا خليفة الباب، فنفتها الدولة العثمانية كما تقدم ذكره.

أجبرت الدولة العثمانية البهاء على الإقامة في عكا، ولم تسجنه، وكذلك فعلت مع صبح الأزل في قبرص، ويبدو أن الإنجليز واليهود قد ضغطوا على الدولة العثمانية من أجل إطلاق حريتهما بهذا الشكل.

وكانت الدولة العثمانية قد وضعت جماعة صُبح الأزل لتراقب البهاء، وجماعة البهاء لتراقب صُبح الأزل غير أن البهاء استطاع الفتك بجماعة صبح الأزل، فاضطرت الدولة إلى وضعه في السجن مع أصحابه، ولكنه خرج من السجن بطريقة غامضة بعد أن قضى في السجن أربعة أشهر، وأطلق سراح جماعته بعد أعوام تنقل البهاء في عدة مناصب دينية، خلعها على نفسه، خليفة الباب، المهدي، الولاية المطلقة، النبوة، الرسالة، المسيح المنتظر، الربوبية والألوهية، أطلق دعاته من عكا إلى فارس خفية، وإلى المسلمين الواقعين تحت سيطرة الروس جهرة، وصرح لهم الروس بإقامة معبدين أحدهما في باكو، والثاني في عشق آباد.

توفى البهاء في القعدة ١٣٠٩هـ الموافق ١٨٩٢م، وعاش ٧٦ عامًا، وخلفه ابنه عباس الملقب بفضل الله الأعظم، والمرزا محمد على الملقب بفضل الله الأكبر، ومبادئهم الدينية تشمل:

١- قِبلتهم عكا، وهي المقام المقدس.

٢- أبطلوا التيمُّم.

٣- غيروا الصلوات، عددها ونوعها.

٤- الزواج بواحدة ولا مانع من اثنتين.

٥- الصوم كالبابيين يبدأ في عيد النيروز.

٦- المحرمات زوجات الآباء / الأم والزوجة الثانية للأب.

٧- لا نجاسة عندهم مطلقًا.

٨- ادعى البهاء أنه إله.

وانتقلت البهائية إلى الولايات المتحدة، وأقامت لها فروعًا هناك.

وانقسم البهائيون هناك إلى قسمين قسم مع العباس، وقسم مع محمد علي، وأقيم في شيكاغو مركزًا للبابية البهائية العباسية، وأسسوا هناك حديقة سموها عكا الخضراء [١].

وقد يجدر هنا سرد بعض الأدلة على الترابط بين الماسونية والبابية والبهائية:

١- أكثر الفلاسفة اليونان - حسب أقوال البابية - تعلموا الفلسفة من بني إسرائيل، ونشروا مسألة الروح وعدم فنائها.

٢- إن حضرة عبد البهاء العباس مجد في تغيير ديانة آسيا ليوحد بين المسلمين والنصارى واليهود، وقد انتسب إلى هذه الحركة بعض اليهود والنصارى، وهو يريد أن يجمعهم على نواميس موسى (اليهودية).

٣- عمل موسى (ديانة اليهود) لا يمكن أن يوازيه عمل آخر.

٤- يؤمنون بأن رجلاً من جذع يس (داود) سيحكم العالم، ويرفع العلم الإلهي على جميع الأمم، ولهذا قال البهاء أنه المسيح المنتظر.

٥- مجيء البهاء إلى الكون هو تعمير لأورشليم، حيث يستقبل مرفأ حيفا ألوفًا من الرجال اليهود ونسائهم.

٦- تدمير الأماكن المقدسة من مساجد، وخاصة الكعبة، وبيت المقدس.

٧- لا قيامة في الكرة الأرضية، أما القيامة، فهي معاقبة البشرية من قبل الإنسان اليهودي، وهذا ما يقوله التلمود والتوراة.

٨- هذا القرن قرن تأسيس ملكوت الله، ودعوة اليهود لفلسطين تنفيذ

(١)" كتاب الحراب في صور البهاء والباب " للسيد محمد الفاضل.

أوامر الله كجزء من النبوءات الإلهية.

٩- القدس أهينت، ودنست بيد المسلمين والمسيحين، ولا تعود إليها قداستها إلا بعودتها لليهود.

١٠- لا يصبح المسلمون في العصر الحديث أنقياء، إلا إذا اتبعوا نواميس موسى.

١١- الحرب على الأديان ومحاولة هدمها لصالح اليهود، وظهور الحرب على الإسلام ظهورًا واحدًا.

١٢- قبول الكثير من العناصر اليهودية بين صفوف البهائيين.

١٣- توقع قيام الدولة اليهودية عام ١٩٥٧م وهي السنة التي تلت العدوان على مصر، وقد استولت على شرم الشيخ ومضايق تيران وصار لها نافذة بحرية على أفريقيا وآسيا.

١٤- اتفق بهاء الله مع فروع الماسونية على الصولة على الإسلام، وقد أبطل الباب والبهاء تشريع الإسلام ١٢٦٠هـ.

ويقول البهاء: " لم يبق من تشريع الإسلام حكم، ومجيء البهاء مقدمة لارتفاع راية اليهود في فلسطين والعالم ".

وفي كتابه الماسونية في العراء ص ١٨٣ يقول الأستاذ محمد على الزغبي:

" وأشهد أني أعرف يهودًا دمشقيين قضوا منذ ١٩٣٠ حتى عام ١٩٤٨ يحملون راية البهائية، ولكن أمسوا في دمشق، وأصبحوا في فلسطين جنودًا لصهيون، بل وأرى شبهًا ظاهرًا بين ترجمتي قرة العين أو أستير التي نراها في العهد القريب، ومن عجيب الصدف أنهما مثلا دوريهما في خدمة اليهود في بلد واحد.

والغريب أن البهاء الذي دعا للعالمية والتعايش الإنساني هو الذي أملى هذا النص:

" لن يبقى على وجه الأرض إلا دين واحد يخضع له كل أقاليم الأرض ".

وطبعًا يرى هذا الدين نواميس موسى المتمثلة بدين اليهود.

ويسرد لنا الأستاذ عبد المجيد همو في كتابه الماسونية والمـنظمات السرـية بعض الملاحظات العامة على البابية والبهائية وارتباطهما بالماسونية قد نوجز خلاصتها فيما يلي:

١- ولـدت البابيـة والبهائيـة بعـد مولـد الماسـونية الحديثـة، فقد ولـدت الماسونية الحديثـة كمـا علمنـا عـام ١٧١٧م بينمـا ولـدت البابيـة فـي القـرن التاسع عشر.

٢- وُلدت البهائية على يد رجل يهودي أعلن إسلامه، وتسمَّى بمحمد، وسمى ابنه عليا، واعتنق المذهب الشيعي.

٣- خالف على الدين الإسلامي، وذلك بنـاء علـى الأمـر الموجـه إليـه مـن أحبـار دينـه اليهـودي، وقد اعتمـد علـى حـديث أنـا مدينـة العلـم وعلـيٌّ بابهـا، واعتبـر علـى نفسـه بابـا، فهـو علـى، وهـو البـاب، ومـن هنـا جـاءت تسمية البابية.

٤- نسخ القرآن وشريعته، وأعلن انتهاء الدين الإسلامي في عام ١٨٦٠م.

٥- أعلـن للنـاس أنـه ينشـئ دينًـا جديـدًا لا يمـت إلـى ديـن مـن الأديـان الأخرى، وإنما هو تلفيق من الأديان كلها.

٦- غير الباب اسمه إلى النقطة، وطالب الحق، ولم يعد يقل عن نفسه أنه نبي، وقال إنما هو الحق بذاته، فهو الله تعـالى عن ذلك، ولبـى دعوتـه الكثير ممن يريدون هدم الدين الحنيف.

٧- اعتمد رقم ١٩ وقال: إن اللاهوت يتـألف مـن تسـعة عشـر أقنومـا؛ هي الباب، وهو الرئيس، والثمانية عشر دعاة.

٨- زعم أنه أنزل عليه الوحي، وسمى كتابـه البيـان؛ إشـارة إلـى الآيـة القرآنيـة " بسـم الله الـرحمن الـرحيم:{ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤} [الرحمن: ١ - ٤]. وكان يكرر أنه أفضـل مـن

محمد عليه الصلاة والسلام.

٩- ألف الرسالة العدلية، وأسقط الفرائض الإسلامية عام ١٨٦٠م.

١٠- أباحت دعوته النساء بشكل علني، وسمحت للمرأة أن تتزوج تسعة رجال معًا، أو قل هو الانحلال الجنسي كما في أوروبا والتي أوصلته اليهودية إلى المجتمع الأوروبي.

١١- دعوته دعت إلى العنف والقتل والثورة، وقامت بمعارك كثيرة، وأباحت قتل الأب والأخ، إذا كانا يخالفان في الرأي كما فعلت قرة العين.

١٢- تابع دعوته المرزا حسين علي، وتسمى ببهاء الباب، ومنه سميت الدعوة بالبهائية.

١٣- حين نفى البهاء إلى فلسطين كان عاملاً من العوامل التي ساعدت اليهود في هجرتهم إلى فلسطين، وتوفى البهاء في عام ١٨٩٢م.

١٤- قبلة البهائيين عكا، وليست مكة، وعكا هي المقام الأقدس.

١٥- انتقلت البهائية إلى أمريكا وأقامت لها فروعًا هناك.

١٦- دعوة البهائيين إلى أن اليهود هم أصل الفلسفة ومولدها، وأن الإغريق قد تعلموها منهم وأن الديانة اليهودية ديانة لا يمكن أن توازيها ديانة أخرى.

١٧- بعد مجيء البهاء سببًا لإعمار أورشليم.

١٨- نادى البهائيون بتدمير دور العبادة الإسلامية والمسيحية، مع المطالبة ببناء هيكل سليمان.

١٩- أن القدس أهينت ودنست بيد المسلمين والمسيحيين، ولا تظهر إلا بعودتها إلى اليهود.

وغير خاف أن انتماء العدد الكبير من اليهود إلى البهائيين يجعلنا نوقف بأن الصهوينية كانت وراء الدعوتين البابية والبهائية.. وأعتقد أن ما تقدم ذكره في الحديث عن الدعوتين هو بلا ريب كفيل في الحكم على أنهما من بنات الماسونية.

سابعًا: شهود يهوه:

إحدى المنظمات اليهودية التي قامت في صرح المسيحية، وقد قامت نتيجة لرأي مارتن لوثر الذي سمح بالتفسير للكتاب من قبل الناس العاديين، حتى أن بدع البروتستنت وصلت في إنجلترا إلى أكثر من ٢٠٠ بدعة.

وقد أسس هذه الدعوة شارلزرسل عام ١٨٧٢م في مدينة إليفاني في بنسلفانيا ومن أهم ما تحتويه وما تتضمنه دعوة شهود يهوه وتنفرد به ما يلي:

١- تؤمن هذه الدعوة أن المسيح سيأتي لإنقاذ القدس من الكفرة العرب.

٢- أن هناك عودة للمسيح قد جرت بشكل غير منظور عام ١٨٧٤م وادعى رسل أنه الملاك السابع الذي اختاره يهوه لهداية التائبين.

٣- تعتبر جماعة رسل أنهم يهود كرسوا أنفسهم فقط لخدمة يهوه، وفي عام ١٨٧٩م بدأت مجلتهم " برج المراقبة " بالصور.

٤- أسست جمعية أخرى في قبلها " جمعية تلامذة التوراة " وهي منتشرة في كل دول العالم.

٥- شطب القاضي رذر فورد الديانة المسيحية، واعتبرها زائفة، وأن أصحابها عمال لإبليس، وكتب رذر فورد كلمات كلها ذم في المسيحية والكنائس، ودعوته دعوة صريحة واضحة إلى نبذ المسيحية واتباع اليهودية.

٦- وتتلخص معتقدات شهود يهوه في أربع عشرة مسألة تتصادم جميعًا مع العقيدة المسيحية:

- إنكار لاهوت المسيح.
- إنكار عقيدة التثليث.
- نفى قيامه المسيح بالجسد بعد صلب المسيح المزعوم.
- وجود فرصة للتوبة بعد الموت.
- الأشرار لن يتعذبوا.

- الدين من عمل الشيطان.
- الزواج بعد القيامة.
- الملائكة تتزوج من البشر.
- موت المسيح هو أبدى نهائي.
- المسيح هو الملاك ميخائيل.
- إنكار وجود جهنم.
- نفى قيامة الأموات بالجسد.
- المختارون للحياة الأبدية ١٤٤٠٠٠ شخصًا، والعدد يقبل القسمة على ١٢، عدد أسباط إسرائيل، فيكون من كل سبط ١٢٠٠٠ شخص.
- الملائكة ليسوا خالدين.

٧- ولشهود يهوه تأويلات خاصة لنصوص معينة من الإنجيل والتوراة من أهمها:

- عدم الإيمان بالوصايا العشر.
- عدم طاعة أي رئيس دنيوي.
- عليهم ألا يقفوا عند عزف أي نشيد وطني.
- رفض أداء الخدمة الإلزامية.
- عدم التبرع بدمهم تحت أي ظرف.

٨- فسروا العهد الجديد تفسيرًا يهوديًا صهيونيًا يؤيد حق اليهود في أرض فلسطين.

٩- التبشير بفلسطين وطنًا قوميًا لليهود.

١٠- التركيز على رؤيا يوحنا اللاهوتي، وتفسيرها يهوديًا.

١١- التبشير بفلسطين وطنًا قوميًا لليهود.

١٢- التركيز على رؤيا يوحنا اللاهوتي، وتفسيرها يهوديًا.

١٣- يذهب شهود يهوه إلى المنازل ليدعوا أهلها إلى مبادئهم.

١٤- افتتحوا مدارس دعاة شهود يهوه المسماة جليد شولة.

١٥- تيودور هرتزل مكرم عند شهود يهوه.

١٦- يُقبل في صفوفهم النساء والرجال، ولا راحة لديهم.

١٧- الهيكل التنظيمي لشهود يهوه يتألف من ثلاث مراتب:

أ- المرتبة الأولى البدائية:

تضم فرقة المبشرين، وهي تتألف من ست مجموعات هي: خدم الدوائر، خدم المناطق، خدم المعلومات، خدم الأموال والحسابات، الناشر، الشهود، والذي يقومون بتوزيع الرسائل والنشرات والكتب.

ب- المرتبة الثانية:

وتضم الرواد والمعاونين والنظار والمبشرين، ويسمون صف جلعاد أعضاء الرجاء الأرضي.

ج- المرتبة الثالثة (يسمونها الأولى):

وتضم أعضاء الإدارة الرئيسيين، ويسمون أعضاء الرجاء السماوي.

١٨- تمويل شهود يهوه من مصادر خارجية، لأنهم يؤدون خدمات جاسوسية مرتفعة الثمن تحت غطاء التبشير بمعتقداتهم.

١٩- عقدوا مؤتمرات سنوية عديدة، ولهم ثلاثة مؤتمرات عادة في فصل الصيف من كل عام.

٢٠- لا يؤمنون إلا بالدين اليهودي على أساس أنه الدين الوحيد المنزل من يهوه، أما المسيحية فهي ديانة زائفة ومن البديهي أن يقال هذا عن الديانة الإسلامية.

٢١- تختلف نظرة شهود يهوه إلى الغرب عن نظرتهم إلى جماعة الشرق، فهم يؤمنون بالسلام بين دول الغرب أما في الشرق فليتركوا

الحروب تلتهم اليابس والأخضر، وليلتهم اليهود العرب، وليذبح الماروني أخاه الماروني، وتكثر هنا عبادات السحق والقتل والإبادة.

٢٢- يعتبر شهود يهوه أنفسهم سفراء الله (يهوه) في بلادهم والحكومة دينية.

٢٣- يطالبون بإعفائهم من الخدمة العسكرية.

٢٤- يعتمدون على أمريكا لتنفيذ مشروعاتهم الصهيونية، وهم لا يبررون وقوفها مع الحق، بل إنهم يقفون ضدها حينما تتعرض مشروعاتهم للخطر.

٢٥- تمثل حضارات الشرق العربي من مصر وحتى العراق هيئة الشيطان، ولا يعترفون بها على الإطلاق، والسبب في ذلك وقوفها ضد اليهودية.

٢٦- لا يعترف شهود يهوه بنسل أبرام (إبراهيم عليه السلام) والعهود المقطوعة له كالشريعة والذبيحة والعهد الجديد، وهم - بهذا التقسيم - لا يعترفون إلا بشهود يهوه على أساس أنهم نسل إبراهيم الذي تتبارك بهم الأمم، فاليهودي الحقيقي هو من كان منصرفًا بكليته لعبادة يهوه، وهم يخرجون كافة اليهود، لأنهم لم يفهموا ناموس موسى.

هذه هي أهم الآراء التي تحملها جميعة (منظمة) شهود يهوه التي تأسست في القرن ١٩ بألمانيا، عندما تظاهر اليهود باعتناق المسيحية لتشويه تعاليمها، ولما دافع عنها الإكليروس الألمان وتصدوا لهم هاجر المتآمرون إلى أمريكا، وأخذت في البداية اسم جمعية جلعاد ثم " تلاميذ التوراة " ثم " شهود يهوه " عام ١٩٠٩ ومركزها بروكلين ولها في العالم ما يجاوز ثمانين محفلاً ومجلة مشهورة باسم " برج المراقبة ".

وقد يجدر الذكر هنا أن من الرؤوس المكرمة المقدسة لدى هذه الجمعية تيودور هرتزل الأب الروحي للصهيونية، والذي يصفه شهود يهوه بأنه المرسل من الله لهذا العمل العظيم، مما يغنينا عن أي تعليق على أنشطة هذه المنظمة.

ثامنـاً: حركات لبست الصليب رداءً:

١ـ فرسان الهيكل ـ المعبد:

هي حركة تأسست عـام ١٠٩٢م في أعقـاب الحملـة الصـليبية الأولى، أسسها هيـودجزدي بـانز والمطـرودون مـن الخدمـة العسـكرية في أوروبـا، وكذلك بعض الفقـراء، ودعمهـا الأغنيـاء المتـدينون، وكـانوا يهـدفون في البداية إلى حماية الحجاج الأوربيين المسـيحيين في بيـت المقـدس، وقـد كـان هناك تقدم ملحوظ في هذه الحركة من حيـث العـدة والعتـاد، بـل والقـوة، لأنهم بعد أن كانوا منبوذين نجحوا في الحصول عـلى التأييـد الرسـمي مـن الكنيسة الكاثوليكية نتيجة لدفاعهم عـن المسـيح والصـليب، وقـد كانـت الحملات الصليبية تساندهم كي تطعن بهم جيـوش المسـلمين في ظهـورهم والتظاهر بطاعة الكنيسة.

مكان الإقامـة: كـانوا يقيمـون تحـت حمايـة الملـك بيردوين الثـاني فـي الجـزء الجنـوبي الشـرقي مـن الحـرم المقدس، وهـو مكـان مهـم للمسـلمين والمسـيحيين واليهـود. حيـث يـدعى اليهـود أن فيـه هيكـل سـليمان، ويَـذكر المسلمين أن في هذا المكان أُمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل (لا أعتقد مثل كثيرين أن هذه المعلومة صحيحة).

ولقد ساعد فرسان الهيكل في تلك الفتـرة فـي تحـويل المسـجد الأقصـى إلى كنيسة، وسميت ببيت الرب (يتمبلار - تيمبلام دوميني).

وبلغت حركة فرسان المعبد (الهيكل) أوج قوتها الاجتماعية والماليـة، حيث صـار لهـا معاملاتهـا البنكيـة الخاصـة، وشـعبياتها. ولكـن مـع انتهـاء الحمـلات الصـليبية صـار هنـاك شـك فـي نشـاطاتها فقـد تعهـد المسـلمون بحماية رحلات الحج المسيحية، وقد كانت هذه هـي وظيفـة فرسـان المعبـد مما اضطر لويس الرابع ملك فرنسـا باعتقـال معظمهـم، وكـذلك ألغـى بابـا الفاتيكان اعترافه بهم. وقدموا لمحاكم التفتيش، ويختلـف المؤرخـون حـول سبب تقديمهم لمحاكم التفتيش، فهناك من يقول بأنهم قدموا لمحاكم التفتيش

بسبب إدمانهم للخمور والزنا وغيرها، ومنهم من يقول بسبب اعتناقهم الإسلام، أو على تأثرهم بالإسلام ورفضهم الكثير من مبادئ المسيحية منها ألوهية المسيح أو تثليث الرب.

وقد أكون في الحقيقة مما يرجحون الرأي الثاني لأن محاكم التفتيش كانت مختصة فقط بما يتعلق بالأمور الكنيسة والدينية، وبالتالي فهي بخلاف المحاكم المدنية لا تحاكم إلا من يخرج عن الدين أو يعارض أيا من جزئياته، كما أن الخمور والزنا في العصور الوسطى بأوروبا لم يكن من الجرائم التي تودي بصاحبها إلى الإعدام. وينتهي أمر فرسان الهيكل بإعدام معظمهم وهروب من هرب منهم إلى أسكتلندا.

التهم التي وجهت إلى هذه المنظمة حتى قضي عليها:

أ- يقسم كل هيكلي أثناء انتسابه للمنظمة بألا يتركها أبدًا، وأن يخدم أهدافها سواء كانت حقًا أو باطلاً.

ب- شكل قادة المنظمة حلفًا سريًا مع العرب ولديهم الكثير من الكفار بالمسيحية أكثر من المؤمنين المسيحيين، والدليل على هذا أنهم يجعلون كل المبتدئين لديهم يبصقون على الصليب وأن يدوسوه، وأن يلعنوا المسيح بطرق عديدة [1] ومن غير المتصور أن يكون المسلمون ضمن هذا الحلف لأنهم لا يبصقون على المسيح ولا يلعنوه، لأن المسيح عليه السلام رسول كريم عندهم.

أما لو قالوا إن اليهود حُلفاؤهم لكان أصدق، لأنهم لا يعترفون بالمسيح رسولاً، وإنما من شروط منظماتهم أن يبصقوا على المسيح، وهم ينعتونه بابن الزنى، وما شابه ذلك.

٣- قادة المنظمة هراطقة قساة مدنسون للمقدسات، فعندما يحاول أي منتسب أو مكتشف لبغي الجماعة أن يتركها يقتلونه، ويدفنون جثمانه في

(١) تاريخ الجماعات السرية ص ٣٧.

الليل سرًا، وهذا ما يفعله اليهود فيمن يترك الماسونية، ويعلمون النساء اللاتي حملهن منهم سفاحًا كيف يتخلصن من أجنتهن، أو كيف يقتلن مثل هؤلاء المواليد، وحادثة قتل الأجنة حادثة يهودية لأنهم يحتقرون الأمميين (كل ما عدا اليهود).

٤- لقد وقعوا في نفس أخطاء جماعة فراتشلي، فهم يحتقرون البابا وسلطة الكنيسة ويزدرون المقدسات خاصة الاعتراف، ويظهرون أنهم يمارسون طقوس الكنيسة ببساطة لكي يتجنبوا اكتشافهم. وهذا العمل الثنائي، إظهار غير ما أبطنوا، عمل يهودي ماسوني خالص، إذ عرفت هذه الثنائية عند اليهود والماسون.

٥- منازل الهيكليين هي مكامن كل جرم وفحشاء يمكن اقترافها، ويدمن سادتهم أكثر أشكال الفسق خسة، ولو عبر أحد عن مُعارضته لهذا يعاقب بالسجن، وهذه السمة من سمات اليهود.

٦- ينصب سيد الجماعة سرًا، وقليل من الأخوة الشباب يحضرون هذا الاحتفال، وفي هذه المناسبة يجحد سيد الجماعة بقوة العقيدة المسيحية، أو يقوم بممارسات باطلة منكرة للإيمان الحق.

٧- كثير من تماثيل الجماعة غير قانونية وضد المسيحية، وتنتهك الحريات، ولهذا يمنعون الأعضاء بالتهديد بالحبس الدائم إن كشفوها لأي شخص.

٨- لا تعتبر أي جريمة أو رذيلة ارتكبت باسم أو لمصلحة المنظمة إثمًا أو خطيئة.

هذا وقد ضوعفت هذه التهم بواسطة باحثين آخرين جمعوا للشهادة من أعداء المنظمة المتنوعين، ومن ضمن ما تشمله هذه الشاهدات عبادة صنم يسمى بافوميت، واستعمال كلمة " يا الله " وهو لفظ عربي صريح.

٢ـ الفاردونا محاربو إسبانيا المقدسون:

عندما قاد فرانكو قواته في إسبانيا لمحاربة الجمهوريين تبنت وحدات قوات الجناح اليساري شعارًا كان صرخة الحرب. اذكروا عذراء قرطبة المقدسة، فبدت وكأنها تقول للعالم بأن الجماعة السرية التي بدأت عندما عبر الفارس العربي، طارق بن زياد إلى شبه جزيرة ايبيريا ظهرت للوجود مرة أخرى.

بعد الحرب العالمية الثانية وصل ألماني مهم إلى مدريد، عن طريق منعزل ليبحث عن منزل رجل نبيل، وعندما وصل قال كلمة السر: " الموت للمارانو " [١]، الموت للأنجاس، ولم يطل الأمر قبل أن يجد نفسه آمنًا في أمريكا اللاتينية، حيث عبر عن فرع سري إلى فرع آخر من جماعة الفاردونا.

تفخر تلك المنظمة الإجرامية بتاريخ متواصل عمره ألف عام، وتدعى بأنها المسئولة عن سحق آخر قوة للعرب في أوروبا، وأنها كانت الأداة الفعالة لمحاكم التفتيش المقدسة، ضد اليهود والمسلمين، وضد أي نوع من المارانو، والهراطقة الذين عاثوا فسادًا في معظم أراضي إسبانيا الكاثوليكية.

لكن؛ يبدو أن الجذور الحقيقية لهذه الجماعة كقوة موحدة لا ترجع إلى أبعد من أيام فرديناندا الكاثوليكي وايزابيلا، تلك الأيام الملطخة بالدماء. وقد بدأ هذان في القرن الخامس عشر زحفهما الصليبي ضد العرب في إسبانيا، فالعرب الذين أنشؤوا حضارة في أسبانيا إما قتلوا وإما نفوا إلى شمال أفريقيا، وإن كانت قد بقيت بعض جيوب المقاومة في الجبال، واختار بعضهم أن يصبح مسيحيًا لكي يبقى في البلاد، وكانوا أساسًا من دم أسباني، ولم يكن لهم مكان يذهبون إليه.

(١) كلمة المارانو دلالة على العرب من كلمة مورو - مراكش.

وبينما لم يتردد الديوان المقدس لمحاكم التفتيش في وسائله، كان لا يزال عدد كبير من المسلمين الذين جاهروا باعتناقهم الكاثوليكية، خاصة هؤلاء الذين كانوا متوقعًا منهم أن يمارسوا ديانتهم القديمة سرًا، بعضهم كان غنيًا، وبعضهم كان عضوًا محترمًا من أعضاء الكنيسة على نحو مكشوف، وفي حالات عديدة لم يُستهدفوا بشكل مباشر، كان هذا عندما دخلت الفاردونا، ونذرت نفسها لتحطيم كامل لأي أثر يخالف الطرق الكاثوليكية، والقتل لأي شخص يمكن أن يحمل أخطارًا حقيقية أينما كان ذلك، وأصبحت الجماعة السلاح غري الرسمي لمحاكم التفتيش.

خلقت المنظمة أسطورة لكي تدرب أعضاءها على التفكير السليم ضد العرب المسلمين، فأشاعت تاريخًا كاذبًا بعد المعركة الأولى ضد العرب بوقت قصير، مضمونها أن عذارء قرطبة المقدسة لجأت إلى الأبطال المسيحيين، فتضايق الربُّ من المسيحيين، ولذا، سمح للعرب بغزو معظم البلاد ليُعاقبهم، والذين سمح لهم أن يبقوا على قيد الحياة كانوا الصفوة المختارة لاسترداد البلاد وتنظيفها من الكفار، ولكي يفعلوا هذا كان العقاب الإلهي، فحمت البلاد من التدمير الشامل، وسمحت للإسبان الذين تبعوا الفاردونا في مهمتها المقدسة أن يسودوا فعليًا.

لم تُكشف هذه الأخبار - الفظيعة - للوطنيين؛ حيث إن مجموعة من الإسبان الحقيقيين المحفزين بدوافع مسيحية لجؤوا إلى الجبال، وشكلوا أنفسهم على هيئة أرتال، ولم يكونوا يدركون - حينذاك - تفاصيل قدرهم المقدس، ففي مدينة سرامورينا المعزولة، كان يسكن ناسك يدعى أبوللينياريو، وكان نشاطة الرئيسي تقديس العذراء، اختارته هي كرسول لها، ليعلن حقائق الواقع الفعلي لإسبانيا، فقد ظهرت أمام الأتقياء، **وكشفت انتصار المسلمين باعتباره عقابًا إلهيًا، وقالت:**

" أنها كانت ذات يوم تنظر إلى العالم، وإلى حالة الإسبان التعيسة، فواتتها فكرة فجائية، أن تقول للمسيح، أن الإسبان - بعد كل شيء - لهم

صفات طيبة كثيرة، هذه اللحظة أصبح ابنها أكثر بشاشة، ووجدت الفرصة سانحة، لتسأله أن يسمح لهذا الناسك أن ينقذ إسبانيا فوافق ".

كان على هذا الراهب أن يجمع كُلَّ المواطنين، ويقودهم ضد العدو باسم عذراء قرطبة، وكمكافأة لهم على هذه الأرض، خُول المحاربون المذكورون بالاستيلاء على كل الأراضي وأية أملاك أخرى يمتلكها العرب، أيا كانت طريقة الحصول عليها، كانت ثروة العرب هائلة بالنسبة للإسبان، ولكنها عندما تؤول إلى أيدي أصحابها ستثبت كرامتها للدين المسيحي.

مسحت العذراء الناسك المسحة الأخيرة بالزيت، وأهدته زرا كانت قد أخذته بنفسها من قميص ابنها، ولهذا الأثر قدرات خارقة، فأي إنسان يلبس واحدًا مثله، يمكن أن ينقذ من الموت، ينقذه من العرب والهراطقة من أى نوع، وكان هذا التفويض كافيًا بالنسبة للراهب، فأسس الجماعة المقدسة والتي خول لها أن تقتل بأعلى وأقدس قرار صدق عليه مباشرة، وأدى إلى ظهور عادة التكريس الديني قبل مهاجمة أي شخص برسم علامة الصليب، وكأن الكتاب المقدس يستشار عن الفأل قبل اتخاذ أي قرار يفتحه عند أي صفحة وإيجاد معنى ما، بالمرور على الكلمات.

وجد فرديناند مثل مستشاريه أن في الجماعة فرصة بدت، كأنها خلقت لمواجهة الموقف الذي وجدوا أنفسهم فيه حتى قبل عصر فرديناند، كانت الفصائل نشطة جدًا، كانت تسلب، وتنهب، وتحرق وتجمع بين حرق الهراطقة وحرق منازلهم، وكذلك ادعاء ملكية الأرض والمملوكات، لا يعرف عدد أعضاء الجماعة الذين كانوا مشتركين في الحرب، ولكنهم لعبوا بكل تأكيد - دورًا كبيرًا في الحملة الصليبية ضد المسلمين.

وتحول سرورهم الحماسي في أرض المعركة إلى أسطورة، ومع هذا عندما انتهت الحرب فعليًا أصبح الملك منزعجًا منهم، لأنهم بدوا غيورين

على غنائمهم، ولم يقبلوا المشاركة فيها.

وجد عدد كبير من المسيحيين الملكيين المخلصين أنفسهم متعقبين باعتبارهم مهرطقين، وأخضعوا لاجراءاتهم الرخيصة، ويبدو أن إنشاء الاتحاد قد برز في هذا الوقت فوحد الزمر والجماعات في جيش قوي واحد، وعلى الرغم من أن الملك كان ضدهم إلا أنهم احتفظوا بجمعيتهم مع ديوان محاكم التفتيش الذي مال إلى حمايتهم في المحكمة.

وأصبحت إشبيلية مركزًا للحركة، وأخذت الجماعة شكلاً وتنظيمًا سريًا.

كانت هناك تسع درجات للعضوية، المنتسبون الجدد كانوا يسمون الماعز، وكانوا أقل من خدم للأعضاء كاملي العضوية، ومن صفوفهم يتكون الجواسيس والمستطلعون، والحمالون، كانوا يدربون على تقليد أصوات الحيوانات التي كانت إشارات عصابات السلب والسرقة.

أما " الأغطية " فكانت تسمية النسوة ذوات المعنويات المتقلبة اللاتي كان لهن العديد من الوظائف، حيث كن يجتذبن الناس في الطرق، ويبدأن معهم حديثًا، بينما تجهز العصابة نفسها للهجوم، وقد عرجن طرقهن بين المنازل بحجج مختلفة لاستطلاع ورصد المكان، وكن يوقعن الرجال بالكمائن والحيل.

وبالنسبة للمشروعات أو الأعمال الخاصة التي كانت تتطلب نوعًا أكثر دقة من الشخصيات، استخدمت الجماعة (العفيفات) اللاتي كن فتيات يظهرن كسيدات محترمات، وكانت كثيرات منهم عشيقات لرؤساء الفاردونا، واللاتي لم يفتقرن إلى الراحة المادية.

أما " الوسائد " فكانوا رجالاً كبارًا ذوي مظهر وقور محترم، يتاجرون في الغنائم، ويقيمون صداقات مع ضحايا محتملين، ويتفاوضون مع المحاكم عندا تكون لهم مشروعات يريدون القائم بتنفيذها.

والمصارعون كانوا رجال الأذرع القوية، القادرين على أية رذيلة، وأية دناءة، وكانوا غالبًا من المحكومين الأفظاظ أو المحكومين بأشغال التجديف في السفن الشراعية، وقد كونوا ركيزة قوات الهجوم.

رجال السيف كانوا أكثر هدوءًا، ويمكنهم لعب أدوار اجتماعية مختلفة، ومن هذه الدرجة انحدر معظم قادة الجماعة، ورؤوس الشعيرة العليا كانوا يعرفون بالسادة الأجلاء، ويقومون بالوظائف الإدارية الدينية. والآمرون كانوا القادة الدينيين الذين ينفذون أوامر قائد القادة الأخ الأعظم أو السيد الكبير، والذي يعرف بهرمانور مايور، كانت كلمته قانونًا، وكان نظام تربيته مرعبًا.

يجب ألا ننظر إلى الفاردونا باعتبارهم محاربين فقط، كانت لهم نشاطات تنظيمية شملت الاختطاف والإبعاد والاعتقال، وإقامة الشهود الزور، وبيع الأعداء كالعبيد، وتزوير السندات.

أما النشاطات الأكثر احترامًا؛ كانت ممكنة بالتعاون مع الأسقفية، كلمتهم كانت قيدهم، حيثما يختص الأمر بفعلة شائنة، فلو قالت الجماعة عن إنسان ينبغي أن يُقتل في مكان وزمان محددين، فلابد أن يغتالوه كما أعلنوا بدقة بالغة.

وتكشف الوثائق بأن نصف العوائد والأتاوة المتفق عليها، يجب أن تُدفع مقدمًا قبل أن يكتمل الدخل أو يجمع الإيراد، حتى الطريقة التي كانت تستخدم بها هذه الأموال كانت تخضع لقواعد ثابتة، فثلث كل الأموال المحصلة من العمولات تذهب مُباشرة إلى الأموال العامة، وللمُحاربين المقدسين قيمة مساوية للنفقات الجارية، والباقي يجري تقاسمه بين الذين قاموا بتحصيله فعليًا.

الميزانية العامة لم تكن تستنزف، حيث كانت الجماعة حريصة على حاجات موظفي العلاقات والأصدقاء في المراتب العليا، ولزمن طويل انتعشت أمور المنظمة جدًا، ومما يوضح ذلك قدرتهم على أن يدفعوا

لمحكمة مدريد أشخاصًا مرموقين، لحمايتهم، وحماية مصالح أعضائها، حتى إنه كانت لهم علاقات سرية بالقضاة والمحققين، وحكام السجون، وبين الوظائف المشابهة لدرجة أنهم كانوا يقومون بتسهيل تهريب أي عضو للجماعة يمكن أن يسقط في يد العدالة، بقى الوضع هكذا إلى عام ١٨٢٢ حيث قامت محاولة فعلية لتصفية المنظمة بشكل محبوك ودقيق كما يوجد الآن، وعندما بدأ الهجوم على الجماعة ظهر الكثير المثير على الرغم من أن الجماعة كانت حريصة على عدم ترك أي أوراق تتعلق بتكوينها ودستورها وقوانينها، نظرًا لأنه من غير المجدي، بل من المضر الاحتفاظ بسجلات واضحة حافلة بأفعالها إذ وقع في الأيدي (في عام ١٨٢٢م) كتاب في بيت السيد الكبير فرانسيسكوكورتينا وعلى أساس هذا الكتاب (الوثيقة) قدمت المنظمة إلى المحكمة، إذ يشير هذا المخطوط إلى أن هناك فروعًا في طليطلة وبرشلونة وقرطبة ومدن أخرى.

وما ثبت في هذه الصفحات وجود علاقة قوية ووثيقة بديوان محكمة التفتيش حتى القرن السابع عشر كانت هذه الشراكة إحصائيًا مثيرة للاهتمام، حيث أظهرت السلطات الإسبانية أن خلال ١٤٧ عامًا من التعاون مع الأساقفة بين عامي ١٥٢٠ - ١٦٦٧م كان هناك ألفان من المشروعات المشبوهة، كلفت بها محكمة التفتيش الغاردونا، وقد سجلت أرباح سلسلة الصفقات هذه بحوالي مائتي ألف (٢٠٠,٠٠٠) فرنك ذهبي، ويكتشف التحليل المفصل أن نشاط المنظمة باسم الأسقفية البابوية كانت تقسم بالتساوي كما يلي:

- الاغتيال: الثلث. - اختطاف النسوة: الثلث.

- السرقة والحنث باليمين وباقي الأعمال: الثلث.

في الخامس من تشرين الثاني ١٨٢٢م، أعدم آخر زعيم، ويسمى السيد الكبير مع ستة من قادة المنظمة، وقد شُنق أمام الجمهور في سوق أشبيلية.

وانتعشت فروع أمريكا الجنوبية في عام ١٨٤٦م، وهناك شواهد تالية لها في عام ١٩٤٩م، وفي الوقت الحاضر يقال بأن هناك فرعين متعاديين، يعملان في إسبانيا الأول يؤيد الكنيسة، ويُقال بأنه على اتصال فعال معها. والثاني منظمة الجناح اليساري والمعروف بأن لها كنيستها الخاصة بها، وتنذر نفسها لإقامة دولة اشتراكية مقدسة.

وقد نلاحظ على هذه المنظمة ما يلي:

أ- وجهت سهامها إلى العرب المسلمين، وكانت عونًا لمحاكم التفتيش عليهم.

ب- لم توجه سهامها إطلاقًا إلى اليهود.

ج- اتهمتها الكنيسة بالانشقاق، وأكثر الحركات المنشقة عن الكنيسة اتهمت بأنها مع اليهود.

د- عملت ضمن أسرار خاصة ورموز خاصة ودرجات خاصة.

هـ- تسترت بثوب المسيحية، وهي لا تعمل من أجل ذلك، ولعل الجناح اليساري الموجود حاليًا هو ما أثبت ذلك.

و- لبست ثوب العنف الذي ترتديه الماسونية.

ز- لبست ثوب المخادعة وجندت النساء لإغراء الضحايا من أجل أن يقعوا في الكمائن، فيقتلوا ولا ريب في أن هذه الأساليب هي أساليب الماسونية الصهيونية.

* * *

٣ـ جماعة الصليب الوردي:

احتار الباحثون في كيفية نشـأة هـذه المنظمـة، فـلا توجـد وثيقـة تثبـت ميلادها، ناهيك عن تعدد المنظمات التي تسمت بهذا الاسـم، وكـل واحـدة تدعى أنها الأصل وصاحبة الأسرار التي تتفوق بها في عـام ١٥٩٧م، تظهـر لنا الآثار الأولى لأخوة الصليب الوردي، ولم تظهر لها آثار قبل ذلـك، ففـي تلك السنة قيل: أن بعض الكيميائيين كانوا يسافرون باحثين عن جماعـات، تتبنى بحوثهم في هذا العلم، وبعد ثمان سـنوات أي في عـام ١٦٠٨م، نشرـ كتاب عن تكوين جماعة الصليب الوردي، ويمكن القـول أن هـذا الكتـاب هو أول وثيقة يمكن أن نعتمد عليها بشكل فعال [١].

وفـي عـام ١٦١٤م، ظهـرت حركـة الإصـلاح الشـامل، ونشـرت كتيبًـا دعائيًا بعنوان " فاما فرامنتاديس " وهدفت هذه الحركـة إلـى تقديم تـاريخ إنشـاء المنظمـة، وطبقًـا لهـذا الكتـاب، فـإن النبيـل الألمـاني كريسـيان روزنكروز أنشأ هذه المنظمة في القرن الرابع عشر، حيث أُرسل إلـى دير رهبنة في عام ١٣٧٨، لتعلم اليونانيـة واللاتينيـة أخذه بعض الرهبـان إلـى قبرص، وهو في طريقه إلى الأرض المقدسة، مات الراهب فـي الطريـق، كان كريستيان وحيدًا، وعمره في السادسة عشرة، وصل إلى مكان يدعى دمكـار [٢] ليـزور بعـض الرجـال الصـالحين، سـافر إلـى الـبلاد العربيـة المعاديـة للحـرب الصـليبية والغـرب، ودرس فـي مصـر، ثـم عـاد بعلومـه العربية من مصر إلى أوروبا.

رأى أن يسكن في إسبانيا، لأنهم يُؤمنـون بهذه العلـوم، وكـان الإسبان في الجزء الشمالي منها يتلقون العلوم العربية في أمهات المدن الأندلسية، وكـان روزنكـروز شخصـية منفتحـة ذا عقليـة روحيـة تحـب البحـث

(١) تاريخ الجماعات السرية ص ١٢٧ - ١٣٤، ويراجع أيضًا كتاب الماسونية والمنظمات السرية لعبد المجيد همو.

(٢) والمفروض أن هذا المكان في بلاد العرب ولكن لم يستطع أحد تحديد هذا المكان.

والاكتشاف، انسحب إلى ألمانيا، ووجد له أتباعًا عديدين، صاغ بهم الحكمة العظمى التي تلقاها في إطار نظام عام ينقد الإنسانية، ومات عن عمر يناهز المائة، وكانت منظمته سرية، وكل عمل الجماعة معالجة المرضى مجانًا.

في عام ١٨٠٤م تسبب أحد أتباعه في نبش قبره، حيث وجدت وصفات غريبة ومخطوطات بحروف مذهبة. عمم جماعة الصليب الوردي بأنهم لا يشعرون بجوع، ولا عطش، وهم يستطيعون أن يأمروا الأرواح، فيجعلوا أنفسهم غير مرئيين، وتُجلب لهم الجواهر والأحجار الكريمة، كان هدف الجمعية استرداد السر المفقود للعمل، وخاصة في الطب، بالإضافة إلى أنهم كانوا مكرسين بمد حكام العالم بالأموال والنفقات، لكي يستطيعوا الاعتناء بشعبهم على نحو أفضل، وهذا ما يدهش، واعتقد الناس بتصديق هذه الأمور، وهنا يتصل الحق والباطل، ولا يمكن التمييز في الخط الفاصل بينهما، ولا يمكن تحقيق هذه المطالب. كانوا يعالجون المرضى دون مقابل، يرتدون ملابس الأرض التي يعيشون عليها، وينامون تحت السماء، ولهم اجتماع واحد في السنة، ويختارون مريدًا بديلاً من كل فرد يصبح على فراش الموت، وكان عليهم أن يؤمنوا إيرادًا للمنظمة لمائة عام، فخطتهم مئوية.

منذ ظهور وثيقة الفاما قام لغط كبير حول هذه الجماعة ولم ينته إلى اليوم، وبمجرد ظهور الوثيقة في الطبعة الأولى نفذت كلها.

وزعم الناس بأن هذه المنظمة كانت نورانية، وكثيرًا من النورانيين تابعون لها، وكذب الناس الآخرون وجودها، وكان بعضهم يدافعون عن الجماعة، ولا شك أن كثيرًا من الأدبيات التي ظهرت حول هذه الجماعة كانت ملفقة ومختلطة.

وأدبيات الجماعة بشكل خاص في ألمانيا تبحث في الكيمياء، ولكنهم كانوا يبحثون في الروح، ليحولوا الإنسان من معدن رخيص إلى معدن سام.

أمـا تحويـل المـادة الرخيصـة إلـى مـادة ثمينـة، فقد شُـهر بهـا بعضـهم، وأشـهرهم جوهـات فـالتتين أنـدريا، هـذا الكتـاب لـوثري (بروتسـتانتي) واسـتخدم المنظمـة لنشـر اللوثريـة، واختُرقـت هـذه المنظمـة مـن قبـل الكاثوليك الذين استطاعوا تحويلها نحو تدعيم الكنيسة الأم.

أشـهر أنـدريا هـذه الجمعيـة، وأقـام جمعيـة أخـرى دعاهـا الأخـوة المسيحية متأثرة باللوثرية. كان مـارتن لـوثر الذي تـوفى ١٥٤٦م مصلحًا دينيًـا، ولـم يكـن لاهوتيًـا نظاميًـا، ألـف كتبًـا عديـدة مـن أهمهـا " الحكومـة المؤقتة، والمسيح ولد يهوديًا.. " وقد كتب ردودًا على الأزمنة التي آثارها الأمـراء الألمـان لنشـر كتابـه العهـد الجديـد، كانـت أفكـاره ثوريـة، لأنهـا ارتدت بالمسيحية إلى اليهودية، **فقد رفض التـوراة اليونانيـة، ولم يقبـل إلا بالعبرية**، ورفض الكتب المنحولة، ولم يقبل بالتفسير الذي تبنتـه الكنيسة الكاثوليكيـة، ورفـض الوسـاطة بـين الله والنـاس بواسـطة الكنيسـة، وأن خـلاص الإنسـان تحقق عبـر المسيح فقط، وأنـه لا حاجـة لأي تضـحيات أخرى، وأن غفران الخطايا يعتمد على التوبة، وليس على كهنـوت الدين، ورفض الإكليروس الخـاص، وقـال بكهنـوت كل المؤمنين، فلا فرق بين رجل الدين وغيره من الناس.

وظهرت بتأثير هذه الأفكار جمعية ثالثة اسمها الصليب الأزرق، وبتـأثير أندريا انتشرت الجماعة وازدهرت بشكل واسع قبل ١٧٥٠م. وفـي هذه السنة هاجم الإمبراطور النمسوي المنظمـة، وأبقـى علـى الماسـونيين فقط فـي زحفه ضد الجماعات السرية، كانت الجماعة قد نشأت وكونت طريقة راسخة لتجنيد الأعضاء. كانت حجرة التجنيد مفروشـة بالسجاد الأخضر، وعليها عدد من الأشياء مثل كرة من الزجاج موضوعة على الدرج من سبع خطوات، وتنقسم إلى جزءين يرمزان للنور والظلام، وضعت ثلاث شمعات بحث تكون مثلثًا، وتسـع زجاجـات تـدل علـى خـواص الـذكر والأنثـى والأثيـر وأشـياء أخـرى، وتنتهي الرموز الطقوسية بإناء نحاسي وحلقة ومنديل.

يأتي الطالب عن طريق ضامن يأخذه أولاً إلى حجرة موضوع فيها هذه الأشياء على الطاولة (شمعة، سيف عار، قلم، حبر، ورقة، وشمع للختم، وحبلان أحمران)، ثم يسأل الطالب الجديد إن كان لا يزال قوي العقل ليصبح طالب حكمة حقيقية، فإن رد بالإيجاب عليه أن يتنازل عن قبعته وسيفه، وأن يدفع ثلاث قطع ذهبية، ثم تربط يداه، ويوضع الحبل الأحمر على عنقه، ويؤخذ إلى البيت، يدق ضامنه الباب ثلاث مرات، فيفتح الحارس، ونسمع الحوار السري التالي:

- من هناك؟

الضامن: جسد من الأرض، مختف، مسجون في الجهالة، الإنسان الروحي.

- ماذا تريد أن نفعل له؟

- نقتل الجسد، وننقى الروح.

- عده يدخل إلى بيت العدالة.

يدخل المشارك، ويقف أمام حلقة، ينحني الطالب على ركبتيه، يقف السيد على يمينه مع عصا أو صولجان أبيض، ويقف الضامن على يساره بسيف في يده، كلاهما يلبس مريولا، **ويبدأ الجزء الثاني من طقوس الانتماء:**

السيد: يا بن الإنسان، أرجوك بحق كل درجات الماسونية الدنيوية، وبالدائرة التى لا تنتهي، والتي تضم كل المخلوقات، وتحتوى الحكمة العليا، أن تخبرني لم أتيت إلى هنا؟

الطالب: لأكتسب الحكمة والفن والفضيلة.

السيد: إذن، فلتعش، ولكن، ينبغي لروحك أن تحكم جسدك ثانية، لقد وحدت النعمة الإلهية، انهض، وكن حرًا.

عليك رباط المبتدئ ليدخل الحلقة، ويمسك السيد والضامن من أدواتهما متقاطعتين كالصليب فيضع المنتسب الجديد ثلاثة من أصابعه عليها، وتمر فترة صمت حتى يقول السيد.

- اسمع إذن.

وهذه إشارة تعني أن عليه ترديد القسم بتأكيد أن الأخ لن تكون عنده أسرار يخفيها عن الأعضاء الآخرين، وبأنه سيعيش حياة الزهد طقوسيًا، تقدم لـه رمـوز الجماعـة، وهـي الخـاتم وكلمـة السـر والعلامـة والقبعـة والسيف، وتشرح له بعض الأسرار.

أما الأسرار؛ فهي كالتالي؛ هناك لوحة روحية تنقسم إلـى تسـعة أقسام رأسـية وثلاثـة عشـر قسـمًا عرضـيًا. العمـود الأول للتسـعة بـه الأعـداد، والثاني له أسماء الدرجات المختلفة للانضمام. المرتبة الأولى للمبتدئين الـذين لا يقـال لهـم شـيء فـي الغالـب، أمـا الـدرجات العليـا فـي الـدرجات ماجي، وتعني الحكمة والمعلمين، وهم يعرفون كل شيء، وحليهم عبارة عن مثلث متساوي الأضلاع.

ماذا تعني الوردة والصليب:

من المحتمل ألا وجود لمثل هذا الرجل المسمى كريستيان رونكروز، وإنما من المدهش ذلك التطابق بأن أندريا كان لوثر يا متحمسا وأن درع مارتن لوثر [١] كان موشومًا بوردة وصليب.

ويفسـر الكاتـب السـوري عبـد المجيـد همـو فـي كتـاب " الماسـونية والمنظمات السرية " هذه الرمزية بأن الصليب طبقًا للكيمائيين يحل محل النور، ولهذا يمكن أن يكون المعنى نور الوردة، فإن كان التفسير صحيحًا فإن هنالك توازيًا مثيرًا مع المدرسة العربية للنورانيين الذين اتبعوا عبد القادر الجيلاني (لا علاقة للشيخ الجليل بهذه الحركة) وكانت أمامه ورده معروفة أنها نور الوردة.

وكانت الطريقة الصوفية العملية التي أنشأها هذا الصوفي في القرن الثاني عشر في بغداد، ولا زال بالنسبة للقادريين مهمة جدًا تسمى سبيل الورد [٢].

(١) تاريخ الجماعات السرية ص ١٣٠.
(٢) الورد هنا بالكسرة، ولا علاقة له بالوردة ونور الوردة.

إن كلمة سبيل تنطق خطأ عند الحديث، فتقال صليب [1] لكن طريقة الانضمام والطقوس والميول الأخرى لجماعة الصليب الوردي لا تتفق مع أي شيء خاص باتباع طريق الوردة الصوفية باستثناء الكيمياء الروحية.

ومن المحتمل أن تكون الطريقة البغدادية فقد أثرت على الصوفية الغربية، لو اعتبرنا أنه من العملي فقط أن كل كيمياء العصور الوسطى قد مرت إلى أوروبا عبر العرب.

بين الطوائف الصوفية السرية الأخرى توجد كلمة الورد بكسر الواو؛ وهي تعنى تلاوات سرية وذكر لكلمات القوة وممارسة تمارين إيمانية - وهو مُصطلح تقنى بالنسبة للتصوف الإسلامي، وتمثل الكلمة برمز الوردة والتي هي ورد كتشابه في الحروف، فطريقة الورد إن أُخذت كترجمة مُباشرة يمكن أن تُفهم بسهولة من أي مُتصوف؛ عرب أو فرس أو باكستان اليوم [2].

ومع هذا؛ فإن الأثر الوحيد في الأدبيات الغربية الذي قد يربط الصليبية الوردية مع الصوفية - بغض النظر عن تطابق الأسماء - هو ذكر ممارسات النورانيين الأسبان العملية، فقد ذُكر أن لهم علاقة بجماعة الصليب الوردي أحيانًا.

وهناك أرضية تؤكد بأنه كانت لهم علاقة بالجماعات الصوفية الإسلامية، وكانت طريقتهم في ممارسة التركيز والتأمل الروحي هي التي تربطهم - بقوة - بالروحيات الصوفية، فكما هو الحال بالنسبة للمتصوفين، فإن النورانيين في إسبانيا قبل أن تُوقف الكنيسة نشاطهم كهراطقة مارسوا تأملات روحية بهدى سيدهم، أو مُعلمهم باتحاد نوراني بين العقول.

انتهى نورانيو إسبانيا في عام ١٦٣٢م بمرسوم من محكمة التفتيش.

لو أن أفكار الصليب الوردي كانت في الحقيقة تكيف مع التفكير

(١) تاريخ الجاماعت السرية ص ١٣٠.

(٢) إن دارول لم يستطيع التمييز بين ورد من وَرَدَ بمعنى شرب، وبين معنى الوَرد بفتح الواو، ولهذا يخطئ في المعنى.

الشرقي المتسامي لتحللت بسرعة من مزاعمها الرائعة على الأقل.

أصبح الروحاني الإنجليزي روبرت فلد بطل الجماعة المخلص عام ١٦١٦م، وقال: إن اتباع الصليب الوردي - ولم يكن منهم - كانوا يسافرون باستمرار عبر العالم، ولم يعرفهم العالم، حيث كانوا شخصيات متسامية " فأنبياء الإله " لا يعرفهم العالم؛ لأنهم لا يريدون أن يعرفهم أحد، وكان هيدون في عام ١٦٢٩م، واحدًا من أتباعهم المدافعين عنهم، وقد كتب هذا المحامي بأنهم الحراس الحقيقيون للأسرار العلوية، وبأنهم كانوا من طبيعة موسى وإلياس وآخرين، وهم مُضامون بشكل ملائكي، وقد شعر هيدون بأن من الجرم أن نأكل، لأن في الهواء الذ لهؤلاء الذين يعرفونه، وهؤلاء الذين يريدون إشباع شهوتهم، يمكن أن يستنشقوا بخار الطبق من اللحم المشوي، ويضعوه في أمعائهم.

تكونت جماعة الصليب الوردي في لندن من عدد من المخلصين، وأسماؤهم معروفة جيدًا من بينهم الياس شموئيل، وليام ليللى، وتوماس وارتون، وهيبويت ودبيرسون، وكانوا أقل سرية في طرقهم من معظم العبادات السرية باستثناء علامات التعارف التى كانت خاصة بالأعضاء والطقوس التي مارسوها - من المحتمل أنهم كانوا يعدونها لأنفسهم - مزيج من الطقوس الماسونية ورموز الكيميائيين، والهدف هو تطهير الإنسان بالوسائل الروحية، وكانت السجادة في بيتهم تمثل عمود هرمس الذي يحتوى على العلوم كلها [١].

كانت هناك سبع خطوات أو عتبات تحل محل الأربعة عناصر (العناصر الأساسية الماء والنار والهواء والتراب) بالإضافة إلى الملح والكبريت والزئبق، وهي العناصر الأساسية التي استخدمها الكيميائيون

(١) هرمس شخصية تكاد تكون عالمية، فهي أوزيريس عند مصر وهرمس عند اليونان، وأخنوخ عند العبريين، وإدريس عند العرب، وهو معتبر عند الأمم جميعًا، إنه أول من خط بالقلم، وعلم البشرية الكتابة، وهو عند اليونان إله الحكمة والعلوم.

والتي تؤدي إلى مرحلة تظهر عليها رموز الخلق التي قامت في ستة أيام.

سجل أحد الورديين بعضًا من أحلامه (جوزيف فرانسيس بوري) وهو ميلانيزي حوكم، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة لأنه هاجم سوء تصرفات البابا، وترك وراء الرواية الساخرة مفتاح خزانة سنفوريوي، وهي قصة عاطفية، يمكن أن نجد فيها الكثير من مفاهيم الورديين، وهي معروفة بقصة (كونت غابا ليس) نشرت في عام ١٨٧٠م، وكان من الواضح في صفحاتها أن جماعة الصليب الوردي لا تعتقد في التأثيرات السحرية أو العرافة، أو مضاجعة الجن والشياطين للنساء، أو للرجال أثناء النوم.

فالإنسان محاط كليًا بعناصر روحية، يُمكن أن تخدمه، ويمكن إخضاعها لإرادته بواسطة الورديين بسجنها في حلقة، أو دائرة، أو مرآة، أو حجر، وإجبارها على الظهور عندما يرغبون ذلك، وهنا تناظر واضح بينها وبين الأدبيات السحرية العربية التي أصبحت فولكلورا أو حكايات شعبية في ألف ليلة وليلة، وهؤلاء الجن ليسوا خاضعين لمثل هذه الحدود كالزمان والمكان، ولكنهم محدودون بكونهم غير خالدين، ومع هذا؛ فهي تستطيع أن تكتسب الحياة الدائمة بحب الإنسان، ويبدو وصف هذه الأرواح وكأنها رجع صدى لشيء يشبه ما يقال للرجل المعاصر عن المواد الإشعاعية.

فالأرواح مصنوعة من عناصر نقية من المادة التي يسكنون فيها، ومثل هذه العناصر النشطة إشعاعيًا تعيش لزمن محدود، أي عدة آلاف من السنين.

حاولت بعض فروع الورديين تحويل المعادن الأساسية إلى ذهب، وقد تكونت لهم خبرات سحرية كذلك، فالكيميائي باراسيلس فيلسوف وساحر، وكان يُدعى بملك جمعية الكيميائيين، كما ذكر في كتاب نشر عام ١٦٠٧م.

وقد تكونت هذه الجمعية في ألمانيا عن طريق الكونت برنارد بعد أن ضم إلى الحلقة الخامسة عشرة في إيطاليا.

وزعـم أنهـا أنشـئت فـي ١٤١٠م وقيـل إن هـذه الجمعيـة ظهـرت مـع جماعة الصليب الوردي ١٦١٧م.

وهناك وثيقة أخرى اكتشفت في سبعينات القرن الثامن عشر، تبين أن بعض المعلومات عن رموزهم ونشاطاتهم، إذ تتبع دفون هارليس في كتابه جاكوب بوم والكيمائيون آثار المنظمة في ألمانيا عام ١٦٤١م، ونشر وثيقة عام ١٧٦٥م، تحتوى على تماثيل جماعة الورديين، وقد سميت بالعهد، وهنـاك توجيهـات عـن العمليـات الكيميائيـة، وتحـذيرات بتجنـب الرومـان الكاثوليك كأعداء للبروتستانت كان رئيس الجماعة يسمى الإمبراطور، وعلى جميع الأعضاء تغيير أماكن إقامتهم كل عشر سنوات، وبقى وجودهم الحقيقي سرًا.

أمـا المبتدئون، فكـانوا يمـرون بفتـرة لا تقـل عـن سـبع سـنوات، وقـد نشـرت - أيضًـا - علامـات التعـارف، وكانـت تحيـتهم البشـرى يـا أخـي (Avefsait) والإجابــة ذهبيــين ورديــين (Rosed Feel awrea) فيستطرد الأول (Crucia) الصـليب وينشـدان (Benedictus deus quidede wno bissignum) ثم يظهر صورة الخاتم الذي كان عليه حملهما معًا.

كون المنشقون من جماعة الصليب الوردي منظمات وفرقًا زحفت في كل اتجاه، حيث تجد المصدقين والبسطاء، وأصبح بعضها قويًا لحد كبير، وتمركز بعضها حول شخصية قائد أو من قد تحايل، فكون ثروة من رسوم الانضمام، وأحد نبتات الورديين جماعة الأخوة الآسيوية التي أنشئت عام ١٧٨٠، بجميـع النـاس مـن جميـع الملـل مثـل اليهـود والأتـراك والفـرس والأرمــن، وكــان التعلـيم يخــتص بمــواد عــن كيفيــة تــرويض الأرواح واستخدامها، ومن خلال الأختام العربية السبعة، وكيفية صنع الذهب، وكيفية صنع الأدوية المعجزة.

لـم يكـن اسـم الجماعـة - رسـميًا - الصـليب الـوردي، لأنـه هـدف إلـى

احتواء كل عناصر الجماعة الأصلية، وكان الانتماء من خمس درجات، اثنان منهما تأهيليتان، وثلاثة رئيسية، وكان أعضاء الدرجة الأولى المريدون ينتظرون أربعة عشر شهرًا للسماح لهم بالوصول إليها، وجرى اختصارها إلى عشرة أشهر، وكانوا يلتحقون بالمحاضرات كل أسبوعين يلبسون زيًا مميزًا، وزي المريدين الأساسي كان من قبعة سوداء مع ريش أسود، ومعطف أسود، وحزام أسود مع ثلاثة أزرار وردية، مع قفاز أبيض وسييف ذي شربة سوداء، وشريط أوسد يربط مثلثين، وكان المثلث مطرزًا على الجانب الأيسر من المعطف.

عند انتهاء فترة التأهيل يصبح المريد مكابدًا، ولا ينبغي أن يقوم بأبحاث عملية خلال سبعة أشهر يبقى فيها عضوًا في هذه الدرجة، وكان هناك عشرة أعضاء يلبسون القبعات السوداء بالريش الأبيض والأسود، والمعاطف السوداء ببطانة بيضاء، وياقات مطرزة عليها المثلثات بالذهب، أحزمتهم السوداء ذات حواف بيضاء مع ثلاث حليات وردية من أشرطة، ولسيوفهم شرابة بيضاء وسوداء.

وبالمناسبة كان أعضاء فرسان الهيكل والأخوة يرتدون الأبيض والأسود والأصفر والأحمر، والصلبان الحمراء والورود الخضراء.

كان الانتماء إلى درجة المكابد كالتالي: يؤخذ الطالب إلى حجرة مغلقة بالسواد، والأرضية مؤثثة ومغطاة بالأسود، يضيء الحجرة شمعدان في وسطها على شكل إنسان بلباس أبيض وحزام من الذهب، توجد - أيضًا - ستة شمعدانات مذهبة، لكل منها خمسة تفرعات. يقع موقع السيد على منصة تحتها ثلاث درجات تحت قبة مربعة سوداء، وكان الجدار الخلفي مفتوحًا جزئيًا، وممسوكًا للوراء بسبعة شواريب، وخلفه قدس الأقداس يتكون من دابزين من عشرة أعمدة، في قاعدة كل عمود صورة الشمس في دائرة محاطة بنار مقدسة تحت الشمعدان الأوسط بساط من ثلاث درجات ماسونية، محاط بتسعة أضواء، أما الضوء العاشر، فهو يقف بعيدًا عن قدم العرش، لكنه مطفأ، على اليمين طاولة فوقها سيف متأنق محفور عليه العدد

٥٦، وقضيب آخر بنهايتين حمراوين، على اليسار يوجد كتاب القانون لا تكشف الأسرار إلا في الدرجات العليا، ورغم أن مثل هذه الأسرار موجودة دائمًا، فإن الأمر هنا يعتوره الشك الكبير جزئيًا؛ لأن هذه الأسرار في المنظمات السرية تتعلق بالخبرة الروحية، ولا يبدو أن جماعة الصليب الوردي قد اعتمدت التدريب لكسب هذه الخبرة بشكل من الأشكال، كان هناك قدر كبير من الرمزية، ولكن لم يذكر شيء عن الممارسات السرية، وإن لم يكن هذا صحيحًا لكل جماعة الورديين، إلا أنه - بكل تأكيد - أمر مهم للفرسان الآسيويين الذين كانوا يُدعَون منظمة صيادي الرسوم بكل الوسائل مثل الماسونية المزيفة.

وفي عام ١٧٨١، كان فراز نيس رئيسًا إقليميًا بالنسبة لواحدة من الجمعيات الماسونية الأربع المتحدة في هامبورج، ولم يكن معروفًا للماسونيين، وكان يدبر منظمة صليب وردي فيحصل من أعضائها على قيمة كبيرة من الأموال، ونحاه سيردنس الذي شعر أنه كان يأخذ ١٥٠ دولارًا من المنضمين، وقام سردنيس بهجوم على مثل هذه الأفعال، ولكنه استبعد أيضًا من الجميعة بتهمة الرشوة.

هذه مجرد عينة من جميعات كثيرة مزيفة حوفظ فيها على منتسبيها، وهم يتوقعون ذات يوم بأن كل شيء سيظهر عندما يصلون إلى الدرجات العليا، وبالطبع؛ لم يحدث شيء من هذا أبدًا.

لكن الورديين كانوا قادرين على الحياة في ظل الجو المعادي لها، رغم اشتراك الأوغاد بعضويتهم.

انتشرت من بلد لآخر، وأنشئت الفروع هنا وهناك، والبلد الوحيد الذي كانت حركتهم فيها محدودة هي فرنسا، ففي عام ١٦٢٣م، كان هناك دافع محدد، وظهرت إشارات معلقة في شوارع باريس تعلن للعامة عن أن الورديين يقطنون ويتحركون بشكل غير مرئي في المدينة، ربما بسبب قوة الكاثوليكية لم تقم الحركة هناك إلا بنجاح محدود.

لا تزال الجماعة مزدهرة، كتب مطبوعة كثيرة، وتسعى إلى احتواء حقائق الصليب الوردي، وهي ليست مقبولة للجمهور بالطبع، فحتى يلحق المنتسب، ويصل إلى الدرجة المطلوبة يلزمه صبر طويل، في هذه الحالة يفضل أن ينتسب للنورانيي، ويشارك في الأسرار الروحانية النورانية.

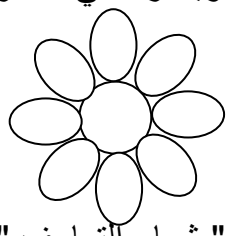

طريق الصليب الوردي " شعار التعارف "

الوضع اليوم مضطرب جدًا لدرجة أنه بات من المحتمل جدًا أن كثيرًا من الجماعات المختلفة تسمى نفسها الصليب الوردي وتعلم مبادئ تختلف كليًا عن تلك التي عرفت بالورديين.

يذهب كاتب معاصر أبعد من ذلك، ويقترح في هذا السياق بأن التعليم والمعرفة تتغيران بالنسبة للعصر الذي تعلمان فيه.

ومن هنا يصبح كل ما يعرفه أو يقوله كل إنسان، وتصبح الحقائق الجديدة والمعرفة الحقيقة، ممكنة ومحتملة الصحة من هذه المصادر.

أبلغت جميعة الصليب الوردي الإنجليزية في عام ١٨٧١م، بأنها معنية - في الأساس - بدراسة الآثار والأدبيات القديمة، لكنها غير معنية بالأسرار المفترضة للمنظمة الأصلية.

والآن نتساءل ما علاقة الصليب الوردي بجماعة الماسونيين؟

وقد نجيب على ذلك ضمن النقاط التالية:

أ- ربط بعض الناس هذه المنظمة بالنورانيين.

ب- دعاة هذه المنظمة - بشكل أو بآخر - هم بروتستنت، كجوهان فالنتين أندريا، فقد جر المنظمة إلى حيث يريد، وإن كانت الكاثوليكية قد اخترقتها، وحاولت جرها لخدمة الكنيسة.

ج- اقترنـت هـذه المنظمـة مـع الماسـونية بشـكل وآخـر، وقـد هاجمهـا الإمبراطور النمساوي ١٧٥٠م، وأبقى على الماسونيين منها.

د- اعتمـدت المثلـث والشـموع فـي الغرفـة التـي يـتم بهـا الترشـيح، والماسونية تعتمد النجمة السداسية، أو المثلثين المتداخلين والشموع، وإن اختلف عدد الشموع.

هـ- اعتمدت رمز النور والظلام كالماسونية.

و- هناك قسم يشابه إلى حد ما قسم الماسونية.

ز- هنالك درجات، وهي تختلف بدورها عن درجات الماسونية.

ح- حاربـت هـذه المنظمـة محـاكم التفتـيش واعتبرتهـا مـن الهراطقـة ١٦٢٣م، وحرمتها من الكنيسة.

ط- كانت عبادتهم مزيجًا من الطقوس الماسونية ورموز الكيمائيين.

ي- قبلت منظمتها كالماسونية الرمزية أناسًا مختلفي المشارب، يهود، مسلمين، ومسيحيين، ومن جميع القوميات فرس، أرمن، أتراك، ألمان، إنجليز، وفرنسيين.

ك- لا تكشف الأسرار كالماسونية إلا في الدرجات العليا.

ل- حاربتهم الكاثوليكية كما حاربت الماسونية، ورحبت بهم اللوثرية، **بل إن شعار مارتن لوثر كان الوردة والصـليب، وقـد يجـدر الـذكر هنـا أن الدرجة الثامنة عشرة في الماسونية هي درجة الصليب الوردي.**

٤- الفحامـون:

كانت جماعة الفحامين أكثـر الجماعـات السرـية الإيطاليـة وضـوحًا في أهدافها السياسية، ففي عشرينات القرن التاسع عشر كانت أكبر مـن مجـرد قوة على الأرض، فلقد اعتزوا بتكـوين فـروع وجمعيـات صـغرى وصـلت بعيدًا جدًا حتى الحدود البولندية والفرنسية والألمانية، وطبقًا لأقوالهم:

بـدأ تـاريخ الفحـامين فـي أسـكتلندا عنـدما كانـت الملكـة إيزابيـل فـي عـرش

أسكتلندا، واتصل الملك فرانسيس ملك فرنسا بمجموعة المتأملة الديمقراطية السعيدة التي كونت أول مجموعة للفحامين الأولى، وحدث هذا عندما ضل الطريق على حدود مملكته، ويفترض من قولهم: أن الجميع يعرفون أن أسكتلندا تشارك فرنسا جزءًا من حدودها، ولم يمض وقت طويل حتى التقى بأبطالنا.

هل تزعمون أنه لم تكن ملكة أسكتلندا إيزابيل في زمن فرنسيس الأول؟

عليكم أن تتذكروا أن الزوجة الأولى لروبرت بروس كانت امرأة بهذا الاسم، وكانت تعيش في الجزء الأول من القرن الرابع عشر بمنفى ريفي في وطنها [1].

مع هذا، لا يمكن أن نقتنع - ببساطة - بمسألة الحدود الأسكتلندية الفرنسية تلك.

يمضى الآن مؤرخونا، فيقولون بأن هناك عصبة من رجال نبلاء النفوس كانوا يقطنون هذه الأرض الوعرة، وقد هربوا من عبودية الاستبداد، ولجؤوا إلى الغابات، ولتجنب إثارة الشك في دوافعهم عملوا في حرق الأخشاب، وصناعة الفحم التي توصف بأنها صناعة أسكتلندا المتفوقة.

وتحت حجة حمل فحمهم للبيع كانوا يدخلون القرى، ويحملون اسم صانعي الفحم، وكانوا - بهذا - يقابلون مؤيديهم، ويتدارسون خططهم المتبادلة، وكانوا يعرفون بعضهم بالعلامات والإشارات والكلمات.

ولأنه لا توجد منازل في الغابات، فقد ابتكروا أكواخًا مستطيلة مصنوعة من فروع الأشجار، مستطيلة الشكل، أقاموا حكومة كانت هي أساس القانون، وكانت ثلاثية الشكل، حيث يحكم أعضاؤها لمدة ثلاث سنوات ويرأسون ثلاثة مواقع: الأول: تشريعي، والثاني: تنفيذي، والثالث: قضائي.

وكان يسمى الموقع الأخير البيت الأعلى، وكانوا يخضعون لقوانينهم الخاصة، وتنقسم هذه المواقع إلى عدد من الوحدات الأصغر تسمى

(١) حكم روبرت أسكتلندا، وحظى باستقلالها عن إنجلترا عندما انتصر في معركة بانوكبيرن ١٣١٤م.

(Baracas) [1]، تبدأ كل واحدة بابن العم الطيب لتمييزه عن أتباعه، ويكون على اتصال مباشر بالبيت الأعلى المعروف بالسيد الكبير.

في هذه الغابة كان يعيش ناسك متأمل يدعى ثيوبالد، أصبح عضوًا في جماعتهم، وأيدهم، فمنحوه رتبة حامي الفحامين، وهكذا استمروا في تنفيذ خططهم ولقاءاتهم.

وحدث أن الملك فرانسيز الأول، ملك فرنسا، كان يصطاد على حدود مملكته القريبة من أسكتلندا، وبينما كان يطارد حيوانًا مفترسًا، ابتعد عن حراسه وحاشيته، حل المساء وتاه في الغابة، وصل إلى أحد الأكواخ الصغيرة، وسأل العون، فقدم له ابن عم طيب بالصدفة كل ما يحتاجه.

أعجب فرانسيز بسعادة هؤلاء الفحامين، وأسلوب تدريبهم الروحي، وأعتقد أنه رأى شيئًا غريبًا وفريدًا فيه، وكشف نفسه لهم كملك لفرنسا، وسألهم بصدق أن يخبرون عن أسرارهم، وأهدافهم، فأخبروه، فامتلأ بالإعجاب، ورغب أن ينضم إلى المنظمة، ووعدهم بأن يكون حاميًا لهم.

دخل في الجماعة، وفي الصباح التالي عاد إلى حاشيته، ولما عاد إلى فرنسا حقق لهم تعهده بلا تردد باعتباره حاميًا للفحامين، وزاد من أعدادهم، حتى انتشرت الجماعة في فرنسا وألمانيا وإنجلترا.

عُرف الكاربوناري (الفحامون) بماسوني الغابة، ومارسوا حرية دينية تامة، تعارضًا مع العادات المحلية والتعاليم البابوية، ومن وقت لآخر كونوا تحالفات قوية مع جماعات سرية أخرى أثرت فيهم بدورها.

أصبحت شعبية جدًا في فرنسا، ووصل عددها في الربع الأول من القرن التاسع عشر وتحت حكم لويس الثامن عشر إلى أكثر من اثنى عشر ألف ماسوني في باريس من الفحامين، واحتوت الجماعة في

(١) براكات " البراكة كلمة عربية مأخوذة من كلمة برك بمعنى حلس، وكانت عند الغرب تطلق على مبنى لاستراحة الجنود أو لعلاجهم.

عضويتها على علماء فرنسيين مهمين عديدين بين أعضائها.

يتضمن القانون العام للجماعة مبادئ المنظمة، المشتقة من الفصل الأول من اللائحة الرسمية للفحامين على الرغم من سريتها:

أ- المادة الأول: القرابة الطيبة، مرتبة ابن العم الطيب، يتم الحصول عليها اعتمادًا على الأخلاق والفضيلة.

ب- المادة الثانية: يدعى مكان اللقاء، براكا أو كوخا؛ الفراغ المحيط به الغابة والأشجار، داخل الكوخ يسمى فنديتا وتعنى بيتا أو موقعا.

ج- المادة الثالثة: يسمى الأعضاء بالأقارب الطيبين، وينقسمون إلى فئتين؛ المبتدئين والسادة.

د- المادة الرابعة: إن اختبار الفضيلة ونقاء النفس لا الصفات الوثنية هي التي تحدد الحق في العضوية.

هـ- المادة الخامسة: ينبغي أن تمر ستة شهور قبل أن يصبح المبتدئ سيدا، وعليه من ناخية المبدأ أن يقوم بعمل طيب، فيساعد غير المحظوظين والبؤساء، وأن يكون متواضعًا، ولا يظهر أي عدوانية ضد الفحامين وأن يملأ قلبه بالفضيلة.

و- المادة السادسة: ممنوع الحديث مباشرة ضد الدين.

ز- المادة السابعة: ممنوع الحديث عمومًا عن الدين، أو ضد الاعتقادات الجيدة.

ح- المادة الثامنة: على كل قريب طيب من الفحامين التزام المحافظة على السر المضمون لممارسات الجماعة.

ط- المادة التاسعة: ليس أخًا طيبًا كل من يصدر أمرًا لهؤلاء الذين يختصمون بمجموعة أكواخ أخرى، وسيكون أقل كثيرًا مع غير العضو عند التعامل معه.

ي- المادة العاشرة: على الأعضاء أن يتذكروا الحرص في الحديث

أمام الناس الذين لا يعرفونهم جيدًا، وعليهم أن يكونوا حذرين خاصة في محيط عائلاتهم.

كان هدف الجماعة تكوين نواة من الرجال الخاضعين لأوامر المركز الرئيسي، وعندما كانت المنظمة في وضع قوي، استطاعت أن تقوم بالعمل الذي يبدو ضروريًا، من المحتمل أن يكون من طبيعة سياسية ضد الحكومات القائمة أو التشكيلات العسكرية، فمنذ ظهرت كونت داخل الدولة.

وقد شكلت القوانين الداخلية واللقاءات المتكررة، ومناقشة الأمور المعنوية والروحية، وممارسة عدد معين من الطقوس، رابطة كافية لدمج الفحامين في منظمة، كانت على وشك أن تسود إيطاليا، وفي السجلات السرية للجماعة هناك فكرة واضحة عن الرمزية، وخبرة الممارسات المصطنعة المشتركة بين أعضائها، ومثل معظم الجماعات السرية الأخرى، كانت أماكن الاجتماعات ترتب بشكل خاص، تذكر التعليمات بما يختص بالفانديتا بأنها تمثل بحجرة من الألواح الخشبية تغطيها الأشجار الأرضية، كانت من الآجر، وكان الأثاث الداخلي عبارة عن مقاعد بلا مساند خلفية، في نهايتها يوجد مسكن في الوسط بثلاثة أرجل أو عمدان، وفي الجانبين مسكنان آخران من نفس الحجم للمساعدين.

في المسكن الأوسط الذي يخص السيد الكبير كانت هناك أشياء رمزية: رداء قطني، ماء، ملح، صليب، أوراق، عصى، نار، شراب، تاج بأشواك بيضاء، سلم نقال، كرة من الخيط، وثلاثة أربطة من القماش، رباط أزرق وواحد أحمر والثالث أسود.

كان هناك أيضًا قطعة مثلثة متألقة بالحروف الأولى لكلمة سر، درجة السيد مرسومة في وسطه، وفي يساره كان هناك مثلث مع أذرع البيت مرسومة عليه.

على الجانب الأيمن كان هناك ثلاثة مثلثات، كل واحد يحتوى على الحروف الأولى للكلمات المقدسة للمرتبة الأولى، وكانت هذه المثلثات شفافة.

وأثناء انضمام المبتدئ للجماعة كانت الصورة الرمزية للفنديتا والشعارات المرسومة على الوثائق التي كانت تكرار لها - تُشرح بعد حديث عن الحرية الطبيعية للإنسان، وعن انهيارها باستغلال جهد القرويين، وضرورة استردادها بجهد الجماعة، وكان المقبولون يُعلنون بصراحة بمجرد أن يظهروا كفايتهم في فهم القصص الرمزية، أو عندما يرتبطون بفئة متنورة من فئات الجماعة.

وُجدت مُحاضرتان مكتوبتان، الأولى موجهة للأقل تعليمًا، والثانية إلى المثقفين، الأولى قصيرة يشرح فيها السيد الكبير أن عددًا من الحكماء اكتشفوا أن طريقة الحصول على النهايات الضرورية للعدل والسعادة للناس، تكمن في إقامة الجماعات السرية، الثانية تشرح الحاجة إلى جهد لا يتوقف من أجل الجماعة بواسطة القصص الرمزية القائمة على أمثلة الغابة " إن جذع الشجرة الذي تراه يعبر عن سطح الأرض الذي ينتشر عليه الأخوة الطيبون، ويدل على السماء التي تظل الناس جميعًا بالتساوي أيضًا ".

ويرينا أن حاجاتنا متساوية، ومصالحنا متكافئة، تشير جذور الشجرة إلى ثباتها، وتكشف الأوراق الخضراء والقوة التي تقاوم بها العاصفة بأنها لا تهرم أبدًا.

ومثلما غطى آباؤنا الأوائل عوراتهم بالأوراق بعد أن فقدوا براءتهم، فعلى الأخوة الطيبين أن يخفوا أخطاء تابعيهم، وخاصة هؤلاء المنتمين إلى الجماعة.

الملابس القطنية البيضاء التي استلمتها، هي نتائج الشجرة التي حولها العمل، ولهذا علينا أن نتطهر، وننقي أنفسها بالجهد المتواصل، وكما يغطوننا بالملابس القطنية عند ولادتنا، فسوف نولد من جديد بالفضيلة، الماء يغسلنا عندما نسقط من الرحم، يعلمنا هنا أن نطهر أنفسنا من الرذيلة لكي نستمتع بلذاتها، الملح الذي يحفظ ما يؤول إلى الفساد، يحذرنا لكي نحفظ قلوبنا من الفساد.

تـاج الشـوك الموضـوع علـى رؤوسـنا يـذكرنا أن نكـون حـذرين فـي حركتنا وفعلنا، لتجنب آلامه وأذاه.

الصليب يبصرنا بالعمل، بالاضطهاد، وبالموت الذي يهدد أصحاب الفضيلة.

علينـا أن نقلـد سـيدنا الكبيـر يسـوع المسـيح الـذي عـانى آلام المـوت بإرادته، ليجعلنـا أقرب للخـلاص، الأرض تـواري الجسد، هكذا يجـب أن تكون أسرار منظمتنا السرية مدفونة في القلب.

إنه الرمز الأكثر أهمية لجماعتنا، الوثنيون ينصبون الشراك لنا، ويثـابرون على زعزعة الثقة في منظمتنا الأداة الفعلية لعتقهم وسعادتهم، ولـو قدر لهم أن يخترقوا سرنا، فلربما يجبروننـا علـى أن نخـوض صـراعًا غير متكـافئ، السلم النقال يرينا أن الفضيلة يمكن الوصول لها خطوة خطوة فقط.

حزمـة العصـى تشـير إلـى الأعضـاء المتحـدين فـي السـلام، الشـرائط الملونـة تعبـر عـن الإيمـان والإخـلاص، الأسـود فـي شـكل الفحـم، الأزرق للدخان، ويعني الأمل، الأحمر هو النار للمحبة والإحسان.

وتشـكل عينـة مـن قطـع خشـبية إشـارة الأعضـاء الجـدد تُثبـت فـي معاطفهم في ثقب الزرار بالشريط ثلاثي الألوان وكثير من هذه القطع ملتصـق بـالأرض علـى مسـافات متسـاوية، لتـدل علـى منـازل الأخـوة الطيبين، شكل القطعة كطرف أتون حـار فـي الفحـم الحقيقـي، فالنهايـات مقطوعـة بـانحراف يلـبس السـادة إشـارة فضـية بـنفس الهيئـة، وخـيط هـذه الكـرة هـو الرابطـة الروحيـة التـي توحـدنا، الفـأس والمعـول والمجرفـة، أدوات عملنا المقدس.

يمكـن اسـتنتاج أن الفحـامين كـانوا - ولا يزالـون - كيانًـا نـذر نفسـه للثورة، والوصـول للقدرة الماديـة، من هذا الإعلان للعضـو الجديد، لكن الدوافع تصبخ أكثر وضوحًا عندما تُرى في مراحل أرقـى دلالات مختلفـة للرمـوز التـي يطلـب مـن الـبعض أن يفكـر فيهـا، والتـي عليـه أن يحفـظ

معانيها في رأسه، وتُخضعه شرطيًا لإيحاءات تتحقق ماديًا، **عبر هذه الكلمات المرسومة بوضوح:**

الصليب هو أن نصلب المستبد الذي يقهرنا، وتاج الشوك أن نخترق رأسه، الخيط هو الحبل الذي يقوده إلى المشنقة، السلم سيساعدنا في أن نتخطاها، الأوراق هي الأظافر التي ستخترق يديه وقدميه، المعاول ستضرب صدره لسفك دمه القذر، الفأس ستقطع رأسه بالضبط مثل الذئب الذي يعطل عملنا، الملح سيحفظ الرأس كذكرى للعار الأبدي للمستبدين، قطب قطعة الخشب يشير إلى رأسه، الفرن سيحرق جسده والجاروف سيبعثر رماده في الريح. الكوخ سيجهز عذابات جديدة للمستبد، نبع الماء سيغسلنا من الدم الكريه الذي سنسفكه - الرداء سيزيل تلوثنا ورمادنا، وسيجعلنا أنقياء أطهارًا.

على الرغم من أن كثيرًا من الفحامين يقولون بأنه كانت هناك درجتان للانتماء فقط، إلا أنه في الحقيقة هناك ثلاث درجات، وربما أكثر. على كل حال، كان هدف هذه العصبة المختارة من الأعضاء هو إيجاد معلومات عن العلامات، والكلمات السرية، التي يستخدمها الناس من شعوب مختلفة فوق الكرة الأرضية في النهار، وفي الليل.

الموقع الذي كان ينفذ فيه طقس الانتماء صُنع ليمثل كهفًا أو مغارة داخل جبل ، في أحد الأركان جرة أو مرمرة نقش عليها هنا يقيم البطل، ويعتقد المنتمي أنه يستطيع بالتأمل أن يلقي نفسه في نشوة ذاهلة، فيحصل على المعلومات السرية، وهنا يبدو الجانب الصوفي والروحي للفحامين بشكل مختصر، وقد افترض بأن هناك مستوى كبيرًا من التأثير بعبادة ميترا وبدرجة عالية.

ومع أن عددًا من أوراق الفحامين السرية تزعم أن الجماعة قامت على عقائد سحرية قديمة تشمل عبادة ميترا، فهناك دليل مهم يكشف أنها ترجع - على الأقل - بعض الأمور إلى منظمات القتل والأعمال الشريرة

التي ازدهرت في إيطاليا لعدة قرون، حتى قبل أن نسمع عن الفحامين.

قـال بعـض المـؤرخين: إنَّ أفكـار الفحـامين، والجماعـات المشـابهة، وإلهامـاتهم، جـاءت مـن أزمنـة مـا قبـل المسـيحية، حيـث اسـتقرت بـين تجمعـات سكان الألـب، وترجـع إلـى العنصـرية، وأفكـار أخـرى انعكسـت على أفكار الماسونيين، والهيكليين، والطرق الصوفية.

وقـد عُرفـت الجماعـات شـبه السياسـية التـي تقـاوم الاسـتبداد، وإقامـة مجتمـع عـادل علـى الأرض فـي جنـوب إيطاليـا منـذ القـرن الثـاني عشـر، وتحفـظ حوليـات مونـت كاسـينو سـجلاً لجماعـة كانـت فـي قمتهـا فيعـام ١١٨٦م، تُدعى المنتقمون، وهؤلاء السيسيليون نسبة إلـى سيسـلي كـانوا يتميزون باغتيالاتهم الليلية في الأساس، وقد شُنق سيدهم الكبير بالفعل.

ويبدو أن المعلومات عن هذه الجماعة تنتهي عند هذا الحد، ثم كانت هنـاك جماعـة البيتـي بـاولي المكرسـة لتحطـيم قـوة الحكومـات المسـتبدة، وقامت بحملات ضد القصـور والبارونـات والأسـاقفة، واسـخدم أعضـاؤها الخنـاجر المسـمومة ببراعـة، نشـروا العـدل بحـرق المتهمـين، وضـربوا معارضيهم بقسوة، استمرت حتى القرن الثامن عشر، عندما بردت سحب دُخانهـا. علـى الـرغم مـن القـول بأنهـا لا تـزال تعمـل، ولا تـزال نشـاطاتها تذكر محليًا مثل الجماعات التي تُشبه روبن هود.

ويبدو أن الفحامين أخذوا طقوس لغتهم ضد الأعضاء المرتدين من منظمـة بيتي باولي، فهؤلاء الذين كانوا يغضبونهم يكتبون أسماءهم في الكتاب الأسود، وكانـت هـذه القائمـة السـوداء تُقرأ فـي كـل اجتمـاع فـي ظـل اللغـات الجماعيـة للمؤتمرين، وبقـى أحـد آثـار طقوسـهم فـي عـادتهم بحـرق أعـدائهم رمزيًـا فـي صـورهم بمصـاحبة لعنـة المـوت. ومـع أنهـم كـانوا مسـيحيين اسـمًا إلا أن لهـم طقوسًـا تـرتبط بأشـكال أخـرى مـن الـديانات، وقـد اعتبـرتهم السـلطة طائفـة، فلـم يُجادلوا في التسمية، ولم تكن أفكار الطيبة والكرم التي كانت تلقن من لحظـات الانتماء الأولى باطلة جليًا، حيث سجل أن لازوروني متوحش نـابولي، وقـاطع

طرق كالابرباس، وأبروزي كان معروفًا بأنهم يقومون بأفعال مدهشة من العدل والإحسان مباشرة بعد انتسابهم.

ويبدو أن الفحامين في ممارستهم لم يعرفوا التمييزات الاجتماعية، **حيث قال أحد المؤرخين:**

إن قاتلاً كان محكومًا بالحبس، وأشغال التجديف مع محكومين آخرين في قلعة سانت أليمو، وكان أمر القلعة نفسه من الفحامين، فلم يتجرأ على إبعاده، وأخطر أن يجلس جواره.

ولكن، إذا كان هناك أمور لا تُصدق عنهم، فإنها تتعلق بأوراقهم السرية، التي تحوي قوانين تبدو محملة بقدر كبير من الالتزام الشخصي المتوقع من الأعضاء، وتعلق عضوية الأعضاء الذين يقيمون علاقات مع أشخاص منحلين في نظر العامة لمدة سنة.

ومن يقامر، أو يشرب الخمر، أو يتردد على البيوت العامة كثيرًا، أو يظهر أمام الناس سكرانًا تعلق عضويته سنة، أما هؤلاء الذين يهملون عائلاتهم، أو يعيشون حياة فاسقة تعلق عضويتهم من ستة أشهر إلى عامين.

والمهينون لشرف نساء الأخوة الطيبين يتعرضون للمقت والكراهة العامة، ويلاحظ أن النساء المرتبطات بالأخوة الطيبين مشمولات أيضًا، في هذا مثلهم مثل الأخوة، لقد أدركوا أنه ربما تقوم النسوة بإغواء الأخوة الطيبين، **ولهذا:**

إن هؤلاء الذين لا يقاومون الدعوات الآثمة لزوجات الأخوة الطيبين ستوضع أسماؤهم في القائمة السوداء. لن يسمح لأي منهم أن يستفيد من ضعف النساء المنحلات، ولا يمكن أن تكون للفحام المتزوج علاقة أو رابطة ما، فهنالك قانون خاص المادة ٧٤، من قانون العقوبات الخاص بالفحامين - الباب العاشر - انتهاكات الشرف بالتعليق إلى ثلاث سنوات لمن حرض، أو أغوى، أو أخذ النسوة خادمات الأخوة الطيبين لأغراض منحطة.

أمـا المـادة ٧١، مـع هـذا تكشـف أن هنـاك مـدىً مفتوحًـا حـول الأكثـر انحطاطًـا بالنسـبة للأعضـاء، عنـد المقارنـة بغيـر المـؤمنين: هـؤلاء الـذين يغوون نساء الوثنيين ستعلق عضويتهم من الجماعة لمدة تتراوح من شهرين إلى ستة أشهر، فـي أسوأ الحـالات، فـإن نسـاء الـوثنيين فـي هذه المدة تصـل أهميتها إلى سدس نساء الأخوة الطيبين ستة أشهر مقابل ثلاث سنوات.

عندما قامت حكومة دستورية في نـابولي ظهر القحـامون إلـى السطح بأعداد دهشت الملاحظين فـي العاصـمة، تحفظ دوريـات الفحـامين النظـام الحسـن، تسـتعرض الشـوارع لـيلاً ونهـارًا مرؤسـة رجـال الـدرك الـذين أجبروا على الانتماء إلى الجماعة لكي يتمكنوا من إصدار الأوامر.

كان زيهم الخاص يشمل إشارة رأس الميت على خرطوشة رصاصـة فارغة، ولأن للفحـامين محـاكمهم الخاصـة وقوانينهم، كـان ممنوعًـا عليهم اللجوء إلى المحاكم التي ليست تحت سلطتهم القضـائية، ولـهذا فإننـا نسمع أن قضاة التحقيق مثل الموظفين المدنيين والعسكريين عليهم أن يصـبحوا أعضاء في الجماعة لكي يحافظوا على ظل سلطتهم.

امتدت قوة المنظمة إلى رجال الدين، فقد كـان رجـال الـدين الـذين هم من الطبقة الدنيا يسجلون أنفسهم في المنظمة بـإرادتهم الحـرة، واعتمـدوها المؤسسة الأولـى، ومؤسساتهم الدينية مؤسسة ثانوية، وكـانوا يعملـون بكـل ما أمكنهم من قوة.

كان عدد القساوسة المنتمين لا يتناسب مـع الخطـر الشـديد المعلـن مـن قبل الكرسي البابوي، وهكذا كتب مؤلف إيطالي معاصرة، ويثبت هذا أن تراتيب الكهنوت في روما مثل كل المؤسسات الدينية تكون فـي خطـر مـن أعضـائها أنفسهم.

كتب الجنرال كولينا في ٦ تموز ١٨٢٠م عن القوة المتزايدة للفحامين فيقول:

وصـل عـدد الفحـامين المـدرعين خـلال شـهر آذار فـي هـذا العـام

٦٤٢٠٠٠ عضوًا.

كان الفحامون ثوريين ففي عام ١٨٢٠م، والعام الذي يليه أشعلوا ثورة في نابولي، وبيونت، وأجبروا الملك فرديناند أن يقسم على دستورهم، وأن يرتدي ألوانهم الثلاثة: الأحمر، والأبيض، والأسود، ولكنهم كانوا ضد الفوضى، وقد حكموا من خلال القساوسة والمطارنة، والقضاة الذين أقسموا للجماعة بصدق. وأخمدت ثورة العشرينات في القرن التاسع عشر بمساعدة النمساويين وأخرجت المنظمة من إيطاليا، اختفت المنظمة بعيدًا جدًا تحت الأرض، وبشر قادتها المنفيون إلى فرنسا بالحرية والإخاء والمساواة، واكتسبوا في صُفوفهم عددًا من الأنصار، وحققوا نتائج مُهمة.

أعاد الوطنيون الإيطاليون غاريبالدي، وماسيني، وكافور، إحياء الجماعة السرية بعد عام ١٨٣٠م، ووجدوا أن أعضاءها جاهزون لأي تضحية لقيام الجمهورية، وُحكم الفحامين، وكان تأثيرهم قويًا في العالم.

وظل هكذا، فقد قاتلوا في الحرب خمسين سنة، وانتشروا في أراضي واسعة بما فيها ألمانيا، حيث كانوا هم المسؤولين عن جماعة الموت التي كرست لاغتيال المستبدين، ونذروا أنفسهم لتوحيد إيطاليا، وقاموا بهذا، ولكن، سال في عملياتهم هذه دم غزير كثير منها بريء.

وقد تتبع آثارهم في ذلك البلاشفة والمنظرون الشيوعيون.

وقد يمكن لنا أن نستخلص بعض النقاط التالية التي التقت فيها الماسونية والفحامون:

أ- سُمَّى الفحامون بماسوني الغابات للدلالة الواضحة على العلاقة بينهما، وقد تدرج الفحامون في الماسونية وخدمتها.

ب- الهدف من الجمعية محاربة المذهب الكاثوليكي، وهو هدف يلتقي فيه الفحامون والماسونية، وقد تجلى هذا الهدف في سلخ إيطاليا عن الحاكم

البابوي، وحصره في مساحة سميت بالفاتيكان، ولولا تسامح الملك فيكتور عمانوئيل مع البابا لانهار الفاتيكان، وانهار حكم البابا، إذ خاف على ما يبدو الملك فيكتور من تجمع الدول الكاثوليكية لمناصرة البابا.

ج- قامت باغتيالات أشبه باغتيالات الماسونية للآخرين.

د- سرية الفحامين متطابقة تمامًا مع سرية الماسون.

هـ- سمى الفحامون غيرهم بالوثنيين، وهذا ما فعله الماسون.

٥- أحباب الملوك الحارس:

يُفترض أن أبراملين الساحر هو مؤلف كتاب وُجد في القرن الثامن عشر في مكتبة الأرزينال بباريس، وقد تُرجم كتاب السحر المقدس لأول مرة في عام ١٨٩٨م.

ومنذ هذا التاريخ شكل جزءًا من الممارسات الغريبة لسحرة موجودين، أو محتملين، فمن وجهة النظر السحرية يمكن تسميته عبادة، أو طريقة في حد ذاتها، لأنها تحتوي نظام تدريب سحري متكامل، يتطلب تجهيزًا وتكريسًا، ويعد من خلال التركيز والتأمل، واستخدام بعض الأشكال بقوة سحرية تبعثها الكائنات العليا فوق الطبيعة.

إليفاس ليفي، أليستر كرولي هما اسمان فقط من الأسماء الشهيرة التي ارتبطت بهذه المخطوطة، ولكن الكاتب المعاصر قد أتى على ذكر عدد كبير من ممارسي فن السحر، ليصبح بهم الكتاب خلاصة لكل الطقوس السحرية، وقد كانت هناك عديد من التعبدات، أو الطرق الصغرى التي بنى أعضاؤها آمالهم العلوية الخارقة كليًا على هذه الوثيقة، على الرغم من أنها قد تكون قائمة - جزئيًا - على جذور محايدة شريفة، حتى أن هناك دلائل عديدة في النص تظهر بأنها ليست عريقة أو أثرية جدًا كما يزعمون، فقد ترجمت من العبرية إلى الفرنسية كما قيل في عام ١٤٥٨م، وافترض أنها من تأليف يهودي " السحر المقدس " الذي أعطاه الله إلى موسى وهارون وداود وسليمان، وكل الأنبياء والآباء المقدسين، وقد

تركه إبراهيم لابنه إسماعيل مع كثير من التحذيرات باستخدامه طبقًا للتعاليم التي يحتويها.

ولكن؛ إذا كان الكتاب يحتوي على تناقض، وتقلُّب، مما أصبح ذلك سببًا للغموض؛ لأن الممارسين الفعليين لفن السحر يزعمون بان التعزيمات قد فُهمت خطأ، أو نُقلت أو بُدلت، فكيف يصدق ساحر بأنه قام بعمل هدام بينما كان يستخدم رُقية مشمولة تحت أعمال الخير والبناء؟ فهل يحصل الساحر على نتائج بواسطة استخدام عمليات سحرية، فهمها خطأ؟!

إنها قضية نفسية، لكنها تقدم بعض الاهتمام لدارس العبادات السحرية، فهي على سبيل المثال يُمكن أن ترينا بأن العنصر الأساسي الشامل لكل هذه المجموعات الغريبة هو الاعتقاد في صدق ما يكرسون أنفسهم له وحقيقته، إنها حالة من الإيمان، والإيمان بأي شيء على نحو مطلق، الذي يتوقع أن يحرك الجبال بالمعنى الحرفي للكلمة.

كيف تُمارس عبادة أو طريقة أبراملين؟

لو أنك أمير، أو ملك، استبعد من تفكيرك، أو ذهنك بأنك يمكن أن تصبح من أتباعها، هذا هو التابو الأول، مُحَرَّم آخر مهم هو أن الأطفال والحيوانات عليهم أن يكونوا بعيدين عن الاتصال بالرسوم السحرية التي يحتويها الكتاب، لأنها يمكن أن تؤثر فيهم لا إراديـاً، لكن، ليس من الضروري أن تكون يهوديًا لتقوم بالسحر المقدس، فأبراملين يخبرنا بأن أي شخص يمكن أن يصل إلى القوة بواسطة هذه الصفحات بشرط ألا يغير دينه، وإيمانه الذي تربى عليه.

على الساحر أن يجهز مكانًا مناسبًا قبل أن يستطيع استدعاء الأرواح التي ستحقق له كان الرغبات، ويقدم الكتاب اختيارًا واحدًا من احتمالين، إما أطراف المدينة أو الريف، فلو كان في الريف عليه أن يجد مكانًا صغيرًا مخشوشبًا يقيم في وسطه هيكلاً، يغطيه بواق من الفروع الصغيرة، ليحميه من الأمطار، تزرع على بعد سبع خطوات من الهيكل

حلقة من الأزهار والأعشاب، وإن كانت طقوس العبادة الملائكية ستؤدي في مدينة، فعلى الساحر أن يمتلك حجرة بنافذة تؤدي إلى الشرفة، وكوخ، أو مقصورة صغيرة، ويجب أن يكون للأخير نوافذ، ولذا يستطيع المتضرع أن يرى كل الاتجاهات منها، وقيل بأن الأرواح الشريرة، لا يمكن أن تدخل الكوخ، ولكنها يمكن أن تظهر نفسها في الشرفة، وبهذا يمكن التفاوض معها من مكان آمن.

تتواصل توجيهات مفصلة عن تأثير مُصلى صغير بأرضية من خشب الصنوبر الأبيض، وعلى الشرفة أن تكون مغطاة ببوصتين، أو أكثر من الرمل الناعم.

ويوجد هناك أشياء مثل مبخرة برونزية، ومصباح زيتي، وجلبابين وتاج، وعصا، أو صولجان، زيوت وزنار، وبخور، جلباب من الاثنين يجب أن يكون واسعًا أبيض نظيفًا بأكمام، والآخر أحمر وذهبيًا يصلان إلى الركبتين، ويُرجى من الساحر أن تكون هذه الملابس براقة نظيفة، الحزام الأبيض من الحرير التاج مصنوع من الحرير والذهب، وزيت المسح المقدس - الذي هو جُزء لا غنى عنه من المتطلبات - مفصل في مفصل في وصفة دقيقة تقول: وجزء واحد من وسائل المر الكاوى، جزءان من القرفة الرقيقة، نصف جزء من نبتة الفالينفل (نبتة عطرية) ونصف الوزن الكُلي لهذه الأجزاء يُوضع في زيت الزيتون الصافي وتمثل الوصفة التقليدية للزيت المقدس في الشريعة اليهودية ما يلي: ٥٠٠ شيكل من المر النقي، ٢٥٠ شيكل من القرفة الحلوة، ٢٥٠ شيكلاً سوسن حلو، ٥٠٠ شيكلاً من الكاسي قرفة جنوب الصين، هن واحد من زيت الزيتون، ويحتاج - أيضًا - لعطر البخور والإصطرك [١] وعصا من خشب اللوز.

(١) مادة صمغية لتثبيت العطور.

ويؤدي الطقس السحري أثناء القمرين الأولين إلى ظهور الأرواح التي تساعد الساحر، ويُغسل الجسم كله، وتُرتدى ملابس نظيفة، وقبل طلوع الشمس بربع ساعة، يدخل الساحر مصلاه، ويسجد أمام الهيكل أو المنبر يتضرع إلى الله، ويشكره على كل ما فعله من أجله، يعترف بخطئه، ويسأله الغفران، ويطلب ملاكًا يرشده، لا تأخذ الصلوات شكلاً معينًا؛ لأن في هذه الطريقة كما يقول أبراملين، تتطور الصلوات بمرور الوقت، النافذة المفتوحة تُغلق الآن، ولا يستخدم المصلى شخص آخر، يعيش الساحر في حجرة قريبة من مصلاه، وعليه أن يراعي شروطًا محددة، على المكان بما فيه السرير أن يكون نظيفًا، عليه أن يتجنب زوجته أثناء حيضها، وأن يغير ملاءة السرير ليلة كل سبت، ليلة السبت هي الجمعة بالنسبة لليهود، والأحد بالنسبة للمسيحيين، تعطر وتبخر كل سبت ولا يسمح لقط، أو كلب، أو أي حيوان بدخولها، في الشهور القمرية الأربعة وبعد الشهرين الأولين يتوقف الجماع تمامًا.

وإن لم يكن سيد نفسه، فرما لا يستطيع الساحر أن يهتم بهذه المحاذير كما يذكر أبراملين، ولكن؛ عليه أن يكون صبورًا فيما يفعله في كل الأحوال.

تنذر ساعتان في اليوم لقراءة الكتب المقدسة، عليه ألا يأكل، أو يشرب، أوينام كثيرًا، وعليه خاصة أن يتجنب السكر ، وعليه أن يجهز عدتين لكي يستطيع التغيير في ليلة كل سبت، فيلبس مرة واحدة كل أسبوع، ويجب أن يكون كريمًا مع الفقراء، فإن مرض يمكن له أن يواصل الصلوات، وهو على فراش المرض.

أثناء القمرين التاليين تتلى الصلوات نفسها، وقبل أن يذهب إلى مصلاه يغسل يديه ووجهه بماء نظيف، ويتضرع لعون الملائكة، ونصحهم، تطول الصلاة أثناء الأقمار الأربعة الأولى، تقام الصلوات، وتبخر العطور مرتين في اليوم، وفي القمرين الثالثين الأخيرين تقام الصلوات، وينثر البخور ثلاث مرات كل يوم.

خلال الفترة الثالثة من الشهرين القمريين تقام الصلوات والبخور في الصباح، والظهيرة والليل، وتؤدى الاعترافات والصلوات والتضرعات لمساعدة الملائكة.

الأشخاص ذوو الوسائل والإمكانيات المستقلة عليهم أن يتجنبوا العمل كليًا، وكل الناس باستثناء الزوج والخدم.

الفترة الثالثة من الشهرين تبدأ هكذا:

يخلع الحذاء قبل أن يدخل إلى مصلاه، يفتح النوافذ، يضع الفحم في منجرته، يُشعل المصباح، يأخذ من الدرج الذي صنعه في الهيكل ملابسه، والتاج والحزام، والصولجان، ويضعها على الهيكل، يأخذ الزيت المقدس بيده اليسرى، ويلقي ببعض البخور على النار، **وينحني على ركبتيه ويصلي:**

" أيها الإله الرحيم الرؤوف الكريم الطيب، أنت من وهبتني البركات بألف طريقة، وعبر ألف جيل، أنت من تغفر الذنب والخطايا وشرور الناس، يتحدث مؤمن أبراملين عن حفارته، ويسأل الرحمة والنقاء والفهم والتقديس، ويطلب قوة التحكم في الأراوح، ويمكن أن تختلف العبادات طبقًا للطالب.

يقوم العابد الآن ليمسح جبهته بالزيت المقدس، وينثر منه قليلاً على القمم الأربع لزوايا الهيكل، ويوضع الزيت بطريقة مشابهة على زي الشعيرة شاملاً التاج، والزنار والعصا، الاستخدام الأخير للزيت، هو وضعه على جوانب الهيكل والتلاوة في مثل هذا المكان؛ حيث تذكرت اسمي هنا سوف آتيك وأهبك بركاتي ".

يصل التقديس إلى نهايته، توضع الملابس الطقوسية في درج الهيكل، ويسجد الداعي ثانية، ويكرر صلاته العادية، ويرفع أي شيء لم يُقدس في المصلى.

على تابع الطريقة السرية الآن أن يستعين بطفل صغير في السادسة من عمره، بحيث لا يتجاوز الثامنة فيلبس ملابس بيضاء، ويكون نظيفًا كليًا.

يوضع حجاب أبيض على جبهته، والحجاب رقيق، يغطي العنين، الطفل سيكون الوسيط القادر - كما يؤكد الكتاب - على الاتصال بالملاك الحارس الذي يراقب النار والبخور في المبخرة، ويركع أمام الهيكل، ويسجد الساحر على الأرض طالبًا من الملاك أن يظهر للطفل، وعند الضرورة أن يصبح مرئيًا للسيد، كذلك عليه ألا ينظر إلى الهيكل.

توضع صحيفة فضية على الهيكل، ويقال للطفل بأن ينتظر ظهور الملاك له، وأن ينتظر الملاك ليكتب على الصحيفة، وبمجرد أن يرسم الملاك رسالته على الصحيفة يحضرها الطفل إلى السيد، ويغادران المصلى، يجب ألا يدخل أحد إلى المكان في اليوم الأول، ويخرج الطفل، وتترك النافذة مفتوحة، ويظل المصباح مشتعلاً.

تبدو الحجرة كلها متأنقة بسطوع إلهي مقدس، نور من التألق غير المتوازي، ورائحة ذكية، كل المشاركين سيشعرون بأنهم في حضرة الملاك، الشخص المكرس لا ينبغي له أن يُحدِّث أحدًا في هذا اليوم ما عدا الطفل.

في المساء يتناول وجبة صغيرة، ويذهب الساحر إلى الفراش وحيدًا، وهذه الطقوس تُنفذ لمدة أسبوع بشكل مُتوال، يوم للتكريس والتقديس، ثلاثة أيام للتضرع للأرواح الخيرة، وثلاثة أيام لاستدعاء الأرواح الشريرة.

في الصباح التالي يكون العمل هو نفسه تقريبًا في اليوم الأول: ملابس الحداد، المصباح المضيء، والمبخرة المشتعلة مع هذا؛ يسأل في تلك المرة، يسأل المصلى رؤية الأرواح والملائكة المقدسين على الداعي أن يزيد حماس عواطفه، وينبغي أن يحاول استدعاء الروح لمدة ثلاث ساعات، في اليوم الثالث من هذا القسم في الممارسات سيعرف الساحر إن كانت طقوسه قد نجحت أم لا كما يقول أبراملين.

فلو أن الأمور جرت بما تشتهي السفن، سوف يكشف الملاك

الحارس نفسه في جمال عظيم، سيتحدث، وكل ما سيقوله سيجلب المسرة، سيوصي بالحياة الطيبة وبالتوبة، أخيرًا سيعلم الساحر الحقيقي كيف يتغلب على الأراوح الشريرة، وسيعده أن يبقى معه طوال حياته، ولن يهجره أبدًا، وبسبب أهمية مثل هذا اليوم، فإن ممارسة طقوسه لابد من أن تجرى بحرص شديد، في الليلة السابقة يستحم الساحر، وفي الصباح التالي يدخل المصلى، بلباسه العادي، ولكن؛ بأقدام عارية، يوضع الفحم المشتعل والعطر في المبخرة، يضاء المصباح، ويظهر اللباس الأبيض، يسجد المؤمن على الأرض شاكرًا الله والملاك الحارس، وعند هذا الحد يتوقع حدوث أمور رائعة.

لا يُضيِّع العابد أي وقت خلال هذا اليوم الثالث للاستفادة من مزايا وإرشادات الملاك، يغادر الساحر مصلاه لمدة ساعة فقط بعد الظهر، وفي بقية اليوم يأخذ الملاحظات الوافرة من تعليمات الملاك بالنسبة للأرواح الشريرة، وكيف يمكن استدعاؤها.

عند غروب الشمس ترتل صلوات المساء، فيحمد الله أثناء انبعاث دخان البخور المعطر، ويشكر الملاك لإظهار نفسه.

ومع أن مخطوطة أبراملين تتجاوز ثلاثة كتب تجمع أربعمائة وثلاث عشرة صفحة مكتوبة، فإن مادة العمل للتواصل مع الملاك تأخذ حيزًا فقط من الكتاب والباقي جزئيًا سيرة ذاتية يحكيها إبراهيم اليهودي لابنه، وكثير من الرسوم تحتل جزءًا أيضًا (مثل مربعات مملوء بكلمات من طبيعة سحرية)، والتي تهدف أن تكون الكلمات المستعملة في طلب الأرواح، ليس من الضروري تفصيلها هنا، لأنها لا تشكل جزءًا من متطلبات الشعيرة، كما فصلناها منذ قليل، علاوة على أن الملاك الحارس في توجيهاته الواضحة ينبغي أن يكون قادرًا على تحويل هذه المعرفة السرية

والسحرية إلى المؤمن دون حاجة إلى كتاب حتى دون الحاجة إلى أبراملين نفسه.

وكما قال لنا: يسمح للساحر أن يثبت ملاحظاته، ويذكر المترجم الإنجليزي للمخطوطة: أن بعض هذه المواد هي خارج صورة المخطوطة التي عمل عليها، يُفضل الحريصون - لهذا - أن يتأكدوا من العمليات بأنفسهم من فم الملاك نفسه.

كم عدد الذين تبعوا عملية أبراملين أو طريقته؟

ليست هناك طريقة لإخبارنا، لكن المراجع عنها ليست نادرة المحتويات، والممارسات العملية تكون جزءًا من مجموعة من آثار عدد كبير من الممارسات السحرية في عصرنا هذا في الغرب بقدر ما.

فإن عمقنا المدى، ووسعناه ليشمل البلاد الشرقية نجد بأن الطقوس في أنواع مشابهة بين العرب والفرس والهنود، وربما تكون كلها مأخوذة من المدارس السحرية للعصور الوسطى، حيث يحتوي عمل (البونى) الساحر العربي المسلم، وهو كتاب مصدر لعدد من الكتيبات السحرية المعروفة جيدًا، والمستخدمة في الشرق الإسلامي على طقوس تسخير الجان القريبة من طقوس أبراملين.

كان السحر اليهودي واحدًا من الدراسات التي زرعها العرب في مثل هذه المدارس والمؤسسات كجامعة سلامنكا الروحية في أسبانيا، وقيل بأن عدد المخطوطات لإبراهيم اليهودي موجودة في مكتبة فز؛ حيث رجع إليها كثير من الباحثين العرب بعد طردهم من إسبانيا على يد فرديناند وإيزابيلا.

إن نوع الشعائر السحرية التي يمثلها كتاب السحر المقدس هي - بلا شك - عبادة بجميع معاني الكلمة، وأحد وجوهها غير الطبيعية هو أن مريدها منتم ذاتيًا، ولا يقر بوجود مرشد روحاني أثناء فترة استعداده

للخبرة والممارسة النهائية، ومع هذا؛ يجب أن نضع التكريس والملابس والطقوس السحرية، وخواص أخرى للعبادة في الاعتبار، نجد هذا كله في عبارة أبراملين.

ولا يخفى على القارئ علاقة هذه المنظمة باليهود سواء إن تكلم بالسياسة أم لم يتكلم.

٦ـ الخصاؤون في روسيا [١] :

بدأ هذا المذهب بين أعضاء طائفة المستوطين (حوالي عام ١٧٥٧م) وهم الذين يجلدون أنفسهم أمام الملأ، ويقطعون أجسامهم كوسائل للوصول إلى حالة من الإثارة والإغماء، وقد وجدوا في طوائف سرية، ودينية في شتى أنحاء العالم.

ومع أي غواية تعذيب الذات كانت تجرى بطريقة عامة غالبًا، فإن الحكومة الروسية سمحت رسميًا بالطائفة السرية عام ١٧٧١م فقط.

كان راسبوتين ساحر روسيا المجنون، واحدًا من المستوطنين، وكان الأمير يوسبرف على اتصال بطقوسهم وكانوا يزعمون بأنهم ملهمون بالكلمة، وبأنهم يجسدون المسيح.

وكانوا يشكلون اتحادًا بشعًا بين الديانة المسيحية، والشعائر الوثنية، والخرافات البدائية، وهدف مثل هذه الطقوس خلق حالة من الذهول الديني، والإثارة الشهوانية، بعد الدعوات والتضرعات والتراتيل يُكوِّن المؤمنون بهذا المبدأ حلقة، ويبدؤون في الرقص والاهتزاز إيقاعيًا، ويدورون، ويدورون، ويدورون أسرع، فأسرع، ويجلد سيد الحلقة أي راقص فقد حميته، وينتهي الطقس بعربدة شنيعة، حيث يدور كل شخص على الأرض في حالة من الذهول والتقلصات.

قبض على فلاح يسمى أندريه إيغانوف بتهمة إقناعه ثلاثة عشر

(١) تاريخ الجماعات السرية - الماسونية والمنظمات السرية بعد المجيد همو.

فلاحًا آخرين بتعذيب أنفسهم، ويصحب هذا الفعل عربدة بين الغناء والرقص، وكان يساعد كوندار تجي سليفانونف، وهو فلاح من سينوليوف من إقليم الأورال، أخذت التحقيقات القانونية مجراها في سانت بطرسبرج، ظهر أثناءها كفر، وجحود شعبي كبير، لدرجة أن الناس كانوا يفعلون هذا دون سبب واضح.

حكمت المحكمة المندهشة على إيفانوف بالجلد، ثم نُفي إلى سيبريا بعد ذلك، واعتقد أنه مات هناك لكن سليفانونف كان لا يزال حيًا، فهرب إلى ناحية تامبوف، وبدأ في التبشير بأن الخلاص والاكتفاء يأتي فقط من خلال التضحية العظمى التي كانت تُدعى معمورية النار، اجتذب بسرعة طالبًا هو إلكسندر إيفانوف شيلوف، وكسب عددًا من المهندسين كانوا يجتمعون بانتظام، ويتحمسون في إثارة متوحشة لا تحكم فيها، وشجع بعضهم بعضًا على تقطيع أنفسهم، وفي عام ١٧٧٦م، كان القائد المقدس في موسكو نفسها، والذي أصبح سميئًا، وبلا شعرًا في وجهه، وبدأ يبشر بعقيدته، ويجمع المريدين، وقبض عليه في موسكو، وجُلد، ثم أرسل إلى سيبريا، حيث هرب منها بسرعة، حوكم كثير من أتباعه قضائيًا، ثم أُرسلوا لتنفيذ الأشغال الشاقة في غابات دور تموند، أما الآخرون الذين لم يقوموا بالتضحية بعد، تم تحذيرهم، ومنعوا من التبشير بآرائه.

لكن الحركة انتشرت، مما أثار الحيرة الكلية للدولة، وفي عام ١٧٩٧م، ظهر سيلفانونف ثانية في موسكو، فطلب الإمبراطور الذي تضايق من هذا الضلال أن يعقد جلسة له، بعدها أرسل إلى دار المجانين.

كان المتعصبون المجانين هناك في صفوفهم من القوقاز إلى المجر، وكانوا من ثقافات مختلفة وأوضاع مختلفة كما يقول الكتاب المعاصرون لهذه الظاهرة المحيرة، وعلى الرغم من أخذها الشكل والأرضية المسيحية، إلا أن عقيدة الخصائين انحدرت من أفكار وُجدت في الأديان السرية القديمة، فالنساك والرهبان والقديسون شعروا بأنهم يستطيعون

التواصل الروحي مع الإلهي بإذلال الجسد أو إماتته، ونحن نعرف أن كهنة عبادة الآلهة الأم كرسوا إيمانهم عبر التضحية بأعضائهم التناسلية.

ويفترض - بشكل كبير - أن الفاسقين كانوا يصحبون عملية الاحتفال بالطقوس السرية بين القدماء، حيث تلعب العلاقات الجنسية غير التمييزية حيزًا كبيرًا، ومع هذا، فإن هناك دلائل مهمة تكشف - على الأقل - في أشكال عديدة من عقيدة الإخصاب، كبت، وتحريم دافع رغبة الجماع، أو تحويلها إلى قنوات صوفية، ويبدو أن هذا هو ما فعله الخصاؤون [1].

بوصول إلكسندر الأول إلى العرش، وكان ذا عقلية صوفية، وجد سيليفانوف فرصته، فقد سيطرت على ألكسندر امرأة غريبة تؤمن بالسحر، وتعتقد أن سيلفانوف قديس، فرتبت هذه المرأة (كرودفر) لإخراجه من السجن، وأعطته الفرصة لدخول المجتمعات الأرستقراطية، فتحت له البيوت النبيلة واحدًا بعد الآخر، وامتلأت بالمريدين المتحمسين من كل المراتب، وكان من أتباعه شخصية من أكثر الشخصيات قوة، مستشار الدولة إليكسي ميخانوف جيلاتسكي الذي صار عضوًا سريًا في العقيدة، وكان نفسه مخصيًا وخصاء لمنتسبين جدد، ساعد جيلانسكي مكبرا سلبيفانوف.

أسكن الأتباع سليفانوف في بيت بديع لمدة طويلة، وساهموا في الإنفاق عليه، وعملوا بلا توقف لازدياد عدد الأعضاء بين الناس، وانغمسوا في الطقوس التي اعتقدوا بأنها تعطيهم المسرة في الحياة، وتجهزهم لدخول الحياة الأخرى على حد تعبيرهم.

كان بيت السيد يدعى بيت الإله، وأحيانًا صهيون السماوي، وأحيانًا أخرى أورشليم الجديدة، وكان سيلفانوف تجسيدًا للمسيح الذي كان هو نفسه تجسيدًا لألوهية مبكرة غير محدودة، وكانت هجرته غير مباشرة، وإنما

(١) الماسونية والمنظمات السرية لعبد المجيد همو.

من خلال جسد بيترا الثالث الذي ولد كما يزعمون من العذراء المعصومة اليزابيث بيتر وفنا.

حكمت هذه الإمبراطورة بالفعل لعامين فقط، وبعد ذلك نقلت قدرتها لامرأة في البلاط مثلتها، وبتغيير اسمها إلى أكولينا إيفانوفا قررت أن تنذر نفسها للعبادة، فعاشت في البداية في منزل نبي أسكونيس اسمه فيلمون، والأنبياء هم الذين يستطيعون إدخال اثنى عشر عضوًا ليخصوهم في إقليم الأورال، ثم انتقلت إلى كنيسة خلف حائط، حيث قدسها العباد حتى عام ١٨٠٠م، وتؤكد التقارير السرية بأنه كان يعتقد أنها قادرة على نقل قدرتها الإلهية لشخص مختار عندما كانت على شفا الموت، وبالتالي، المحافظة على القدرة والقوة لتمنح الخصاء خبراتهم الهلوسية من النوع الملكي المقدس.

كان التاريخ المفترض لسليفانوف غير عادي، فقد ولد كما تقول الحكاية في هولشناين، وبمجرد وصوله سن الرجولة خصى نفسه كليًا، وأقنع عددًا آخر بان هذا هو طريق الخلاص، ونجح في ذلك، لأنه كان قادرًا على القيام بالمعجزات التي قيل إنها حدثبت بسبب تضحيته، هذا لو كان علينا أن نصدق القصة.

وبوراثة بيترا الثالث العرش أجبر على الزواج، وبمجرد أن شعرت عروسه كاترين الثانية بأن عجزه لا حل له إلا بإزاحته بالاغتيال، جهزت لذلك، لكنه حُذِّر في اللحظة المناسبة، فغير ثيابه مع أحد الحراس الذي قتل بدلاً منه.

ثم أخذ بعد ذلك هيئة الفلاح سليفانوف، في نفس الوقت عرفت الإمبراطورة الحقيقة، لكنها جهزت خطتها باعتبار أنها أرملة، فدفنت الجندي بكل الشرف الملكي، وأشار المنتمون إلى شعبية سليفانوف المؤكدة لدى الأشراف كدليل على حياته الأولى.

ويؤكد الأتباع بأن شيلوف كان مجرد مبشر عن المخلص سليفانوف،

ويقول كتاب هوي سليفانوف المخلص:

كيف أن القيصر بول الأول أحضر سليفانوف إلى عاصمة روسيا ليسلمه التاج عندما اكتشف بأنه أبوه، ولكنه رفض هذا؛ لأن سليفانوف طلب - بالطبع - أن يخصى بول العنيد، بُول الذي فضل أعضاءه التناسلية على مخلصه. بل ويزعمون أكثر، فعندما وصل الاسكندر إلى العرش ارتبط هذا بالجماعة، وأدخل زوجه فيها، ومن المؤكد إن سليفانوف قد تمت حمايته في المحكمة، والحكومة فقط هي التي اعتبرته مهددًا لسلامة الأمن العام، وعندها قررت الحكومة أن تحبسه في دير سوزدال بعدما اعتقدت بأنه سيعيش للأبد، وبأن معتقداته ستستمر بعد موته طويلاً، وقيل إن هذه القصة لا تزال تُصدق.

ففي الوقت الملائم سيظهر ثانية، وسيحكم روسيا، وسيخصي كل إنسان، عدَّل عدد من أتباع الخصائين في هذه الأيام، في البلقان ولبنان وتركيا من تعليماتهم، فسمحوا لكل عضو أن يكون له طفلان، ثم عليه بعد ذلك أن يخصي نفسه، وأن يحقق ذاته بالطريقة التي يدعون إليها، ففي هذا مصيره.

يحترم الخصاؤون الإمبراطور بيترا الثالث، لأنه القيصر الذي ألغى الأوامر ضد المتسوطين وعاملهم برفق، وهو في الحقيقة كان ابن دون هُولشتين، وليس هناك سبب لتصديق أن أكولنيا إيفانوفا كانت في الحقيقة الإمبراطورة اليزابيث، فلقد ذكرت الشرطة بأنها ولدت في قرية في إقليم تابوف، وأن اسمها الحقيقي هو كارازانوفا.

مات سيلفانوف ١٨٣٢م، في سن متقدمة جدًا في دير سيانو بوفيمس، ووضع الكابتن سوسونوفيتش وهو واحد من ملازميه المتطرفين في دير آخر، حيث عاد إلى المسيحية الأرثوذكسية، وكشف الأسرار الخفية جدًا للطائفة إلى رئيس الدير.

أظهرت العقيدة نزوحًا واضحًا للانتشار، حيث كشف طبيب روسي،

أعد خرائط لانتشارها مأخوذة من اعتراف الناس الذين قبض عليهم في عدد من القضايا التابعة في بدايات القرن التاسع عشر، كشف أنه حتى عام ١٨٨٠م، كانت للعبادة مراكز في معظم الأقاليم الروسية، واستهوت هذه أناسًا من أجناس مختلفة، ومن أمزجة متنوعة، كان تركيز رجال الرب قد وصل إلى بطرسبورج، ومنطقة البحر الأسود، وحدود البحر المتوسط، وبحلول عام ١٨٢٢م، كان الانتشار غير عادي، فمعظم الحدادين، وصناع الذهب والفضة في العاصمة ينتمون إليها، واخترقت العقيدة شبه جزيرة القرم في أوكرانيا، وفي منتصف القرن التاسع عشر أخذ الإمبراطور نيقولا إجراءات قاسية ضد الحركة، فاعتقل المئات منهم، وأرسلهم إلى سيبريا، وبدأ هذا يشكل الوباء أكثر، فأصبحت البلقان مكانًا للدعاية، وسجلت حالات أكثر فأكثر من التسوط، وقطع الأعضاء، والإخصاء، واعتبرت اتحادات الحرفيين، والتجار، والحوذيين وسائقي العربات، وصاحبي السجاد والبنائين في عداد الملوثين.

بعد هبوط النشاط الديني الذي اعتُقد خطأ بأنه كلمة الحُكم ببداية النهاية، انفجرت الجماعة بانتعاشها من جديد في أعوام السبعينيات ١٨٧٠م، فلدى الجماعة التواصل وكان عليهم جلب الأتباع، ولكنهم كانوا جماعة سرية، وهذا الاتجاه انعكس على التفكير المثير عنهم، فأكثر من منظر يزعم بأنه هناك سرًا محصورًا بين الأعضاء فقط بعد خصائهم، فيفعل تضحيته بهذا القدر، على العضو أن يثبت ليس فقط بأنه ذو قيمة لكن؛ لم يعد لديه الكثير للتراجع لو أراد أن يرتد، والسر طبعًا لاعتراف أحدهم كان الوسائل التي يحصل بها الرجل أو المرأة على القوة المطلقة فوق الآخرين، ويستطيع أن يقوم بالمعجزات.

وقال شاب سمع مثل هذه الأشياء من والديه عندما كان في سريره قبل بلوغه، ليتجنب الاهتمامات المتحمسة لأقرب الناس له، وأعزهم، وكان التعليم الداخلي يتضمن بأن الرجل يمكن أن يمتلك قدرة الإله، وهي

قوة عظيمة جدًا، وأكثر قدرة على التحقيق من مجرد إطاعة أوامر القدر في نشاط الإنجاب والتناسل الذي فرض على الإنسان وبالتضحية - فقط - بالأعضاء التناسلية، بهذا التسامح يستطيع المرء زرع حسن القوة الحقيقية، القوة العظمى، كان عليهم أولاً إدخال الروس، وكان التبشير بينهم فقط، ولكن هذا الحاجز أزيل في عام ١٨٦٢م، ويسأل أحد الشارحين المشمئزين، وهو يكتب عن الخطر في عام ١٨٧٤م:

هل لا يستطيعون أن يجدوا في أي جنسية أخرى مجانين كفاية ليخصوهم إلى طقوسهم؟

لم يوقف حماسهم شيء أبدًا، ولا يبدو أن السلطة استطاعت أن تتخلص من رؤى الخصائين، وحميتهم الواسعة، ففي عام ١٨٦٥م، اشتكى سكان المنطقة التي تحد بحر آزوف إلى الحكومة الروسية، بأن الطائفة تنتشر يوميًا، واكتشف محققو الشرطة مئات من النساء والرجال المخصيين.

وبدا أن الجماعة تتركز هناك حول نبية فلاحة، اسمها بايانين كانوا يعتقدون بأن لها قوة معالجة كل المرضى باللمس، وبأنها تتكلم مع الموتى الذين يسكتونها، وبأنها قادرة على جلب الخير لأي إنسان، وفي أي مكان في روسيا من خلال التنويم عن بعد.

بالطبع؛ كانت كل هذه المعتقدات تعزي إلى القوة الحديدية التي وصلت إليها باعتناقها للعقيدة وبمقاساتها لإحدى عمليات الإخصاء، نُفيت النبية مع عدد من أتباعها إلى سيبريا بسرعة، ومع ذلك وُجد أن جماعتها كانت مجرد فرع من مركز أكبر. وشهدت مدينة سورشانسك في إقليم تامبوف مشاهد محير لتحول الجماهير إلى هذه العقيدة، وهلوسات وقوة متعاظمة لهم.

وفي الليلة الأخيرة لعام ١٨٨٩م، كان رئيس شرطة المدينة في حفلة، وفي حوالي منتصف الليل دعى للخروج، وأعطاه خادم

رسالة من تاجر مهم يطلب منه أن يفرج عن ثلاثة نسوة من الجماعة كن مسجونات، وعده بعودتهن إلى السجن في الصباح، احتوى الخطاب على عشرة آلاف روبل، تحولت القضية مباشرة إلى قسم التحقيق الإجرامي، أوقف التاجر بوليتسين، بتهمة الرشوة، وفتش منزله، وُجد أن مسكنه يتكون من عدة منازل مبنية فوق أربعة قباء واسعة تحت الأرض، ومن هذه السراديب وجُدت كميات هائلة من الذهب والأوراق النقدية مكشوفة، لكن الدليل الذي أدانه كان العلاقة الواسعة مع تجار عديدين كبار في أجزاء مختلفة من روسيا، وتشمل مليونيرات معروفين في سان بطرس بُورج، وكشفت الرسائل بأنهم جميعًا كانوا أعضاء في الجماعة، وكانوا يُمارسون نشاطات تتراوح بين تدعيم تأثيرهم عبر الرشوة، وبين ضم الأعضاء، تجهيزًا لقلب نظام الدولة، وهؤلاء الأشخاص المحقق معهم أقروا بأن سبب طلبهم الإفراج المؤقت عن النسوة الثلاث في الجماعة، هو الحاجة إليهن في القيام بطقوس الوصول إلى الذهول الشعائري الذي كانت الجماعة منغمسة فيه، وكان يعتقد أنه باستخدام بعض المساجين في طقوسهم سيصبحون قادرين على العمل بحرية بطريقة سحرية، وهذا - بالطبع • ليس أكثر من مبدأ السحر الودي (بفعل الشيء ونظيره) وباتباع هذه الفرضية استخدموا رجال الشرطة والرماة أيضًا، إن استطاعوا جذبهم لكي يحصلوا على هذا العنصر في نشوتهم السحرية.

جُرد بولتيسين من حقوقه المدنية، ومناصبة الرفعية، ونفي إلى سيبريا مع اثنى عشر رجلاً آخرين، وتسع عشرة امرأة كن عضوات في العقيدة، وأدت العلاقات والخطط المكتشفة إلى محاولة استئصال شأفتهم من أماكن أخرى من الإمبراطورية الروسية، وامتلأ العامان التاليان - تقريبًا - من محاكمة الكبار والصغار من الناس الذين كانوا يكتشفون

يوميًا، وظهرت أفعالهم الشنيعة، وكُشف أناس مُهمون كانوا متورطين لدرجة منعت إفشاء أسرار أكثر عن هذه القضايا.

بُحث استئصال الجماعة رسميًا كقضية أمن داخلي، أكثر من كونها قضية ممارسات دينية، ولهذا لم نسمع عن تعذيب مورس للحصول على اعترافات أو تراجع إلى الإيمان الأصلي، لكن الوثائق والاعترافات الظاهرة أيا كانت الوسيلة تقدم صورة للمعتقدات الرسمية، وطرق عبادة الخصائين.

اعتبروا معمودية النار طريق الخلاص الأبدي، وتعتبر - أيضًا - برهان الإله، والبرهان الأعظم من التعبير بإزالة العضو الجنسي كله، وهو الشكل الأعظم للتقديس، أما البرهان الأصغر؛ كان الإخصاء العادي، واعتبرت العلاقات الزوجية بين الرجل والمرأة إثمًا.

إن الآباء يرتكبون خطيئة مميتة جدًا بإعطاء أبنائهم الحياة، وهذا هو السبب الذي يجعل المبتدئ قبل الحصول على العضوية الكاملة يكتب أسماء جدوده على ورقة يدوسها بقدميه، ومع هذا؛ يجب أن نذكر بأن هذه الفعلة الرمزية هي في الأِساس إشارات من المرشح بفصم علاقاته ورابطته مع العالم.

ذكرنا منذ قليل أن هناك بعض التباينات التي كانت تسمح بإنجاب طفلين قبل الانتساب، وقد سجل - أيضًا - بأن طفلاً واحدًا كان مسموحًا به في بعض مجموعات المنظمة.

في ليلة السبت النموذجية يقوم رجال ونساء من المنظمة بطقوسهم الدينية، فينشدون التراتيل وراء أحد الأنبياء، وأكثر هذه الأناشيد تتكون - غالبًا - من كلمات بربرية مكشوفة، وكان الإيقاع الجسدي للأنغام يبدو أنه الإدارة الرئيسية لجلب الإثارة والغضب، أثناء الغناء يدخل واحد أو أكثر من القادة الموجودين في حالة من الجمود أو الإغفاء، فيعطي الأوامر والنبوءات إلى الجميع، تكتب هذه الصرخات بحرص وتحفظ.

والجزء الأخير من العملية الرقصة الغاضبة، التي تنفذ بطريقة عنيفة لتعطي الانطباع بأن الراقص مملوك من قوى روحية، ويمثل الرقص الممارس - غالبًا - العروض السحرية بين المغول، فتفرد الأذرع وتُمسك من الجوانب، وترتفع لأعلى وأسفل سويًا على إيقاع طبلة صغيرة، ثم يضع الراقص قدمه اليسرى للأمام بخطوتين مرتعشتين، تتبعهما القدم اليمنى، والجسم كله يرتعش كما لو أنه يريد أن يخطو للأمام، كانت الموسيقى تختلف من إيقاع صاخب على أدوات للقرع إلى شكل من الرقص يبدو أنه أشبه بحركة خطوات رقصة الفالس في الأيام الأخيرة، أحيانًا يُقلد الراقصون قادتهم، فيتبعون حركة أيديهم أو أيديهن مثل فريق من المصارعين، وهم يقومون بتمارينهم.

لا يتبع انتساب عُضو جديد هذا النموذج الغريب كليًا، ويمكن أن نتوقع بأن التجنيد سوف يحدث بعد المشاركة في رقص ولهو، مثل ذلك الموصوف، ولكن؛ في حالة الإخصاء فإن الفرد نفسه هو الذي يتقدم أولاً إلى مرحلة الهداية والورع، والإثارة، الوعي بالخطيئة، والرغبة في المشاركة في نشاطات المجموعة التي تبدو له أنها تمتلك قوى روحانية كبرى.

يقال - غالبًا - بأن المُرشد بمجرد أن يجد ضحيته يخضعه شرطيًا بأن يجعله يبقى دائمًا على خطوة واحدة خلفة لإثارة رغبته المتصاعدة بأن يرتبط بفئة ممتازة، في المرحلة الأخيرة قبل الإخصاء يعد الضحية بكامل إرادته الحرة بأن يأتي إلى المُخلّص، وأن يحفظ سره عن القيصر والأمراء والأقارب والأصدقاء، وكل ما يتعلق بهذه الشؤون المقدسة، وأن يخضع للاضطهاد والتعذيب والنار، وحتى الموت، قبل أن ينكشف أي جزء من الأسرار إلى الأعداء.

بنى الخصاؤون أماكن لقائهم بحذر، لكي يحفظوا أنفسهم من

الاختراق، ولقد زعموا بالطبع أن خطة البناء وترتيبها ضرورية لخلق القوة التي كانوا يستخدمونها.

كان الطراز العام عبارة عن حجرة تبني بأبعد ما يكون عن أي منزل مسكون، محاطة بإصطبلات ومبان أخرى، وسواء داخل هذا الحزام، حيث توجد باحة أو داخل الحجرة نفسها تجرى ممارسة شعائرهم، وهناك - دائمًا - أبواب سرية كثيرة تؤدي مباشرة إلى الحقول، ويعرف كل عضو أين مخرج طوارئه، وهذا يؤمنهم من الحصار في حالة الهجوم، ويُؤمنهم من هروب المنتسبين كاحتمال حالة الهروب.

يعبر الأعضاء القدامى من خلال خلايا النحل التي توضع هناك عمدًا لكي لا تلفت انتباه أي مفرزة من الجند بمكن أن تطرق المكان.

هناك زي خاص يلبس للقيام بالعبادة، يلبس الرجال قمصانًا طويلة بيضاء، واسعة مقفولة عند العنق مع أكمام طويلة تشبه النموذج الشرقي، وكان يربط حزام حول الوسط، وبنطلون كبير منتفخ، يكمل الهيئة، بينما كانت النسوة يلبسن فستانًا من النانكين، وفي المدينة من القماش الهندي الزاهي الألوان، وكن يغطين رؤوسهن بأغطية بيضاء، كان الجميع يلبسون جوارب في بعض الأوقات، وفي أوقات أخرى يكونون عراة الأقدام، وفي أيديهم مناديل بيضاء يسمونها الأعلام.

والأعضاء الذين لم يتم إخصاؤهم يدعون الحمير، أو الماعز، بينما الآخرون كانوا يسمون الحملان البيضاء والحمائم.

ولامتصاص جزء من ألوهية ذائع الصيت شيلوف، تؤكل قطع صغيرة من الخبز كانت توضع في فجوات في نصب تذكاري كان مقامًا له؛ حيث ادعى أحد الرهبان الجواسيس الذين زرعهم قادة الإخصاء في كنائس المنظمة بأنه كان من طقوسهم تناول قربان من اللحم والدم، ومثل هذه الممارسة خيالية

الاحتمال، وقد زعم أنها كانت تأخذ خاصة الشكل المقيت للتضحية بالأطفال وأكل لحومهم في طقوس جماعة الخصيان.

كان الخصاء يدعى معمودية النار بين أهل الجماعة، لأنه طبقًا لمعتقداتهم كان ينفذ بشكل أساسي عن طريق حديد أحمر مُحمَّى، ونظرًا للضعف الإنساني فقد حسِّن هذا باستخدام سكين حاد، وهم يدَّعون بأن المسيح وكل المسيحيين الأوائل كانوا يفعلون هذا، ومع ذلك كان الفعل نفسه هو المهم، وليس أداة الفعل، وقد تأكد من الإحصائيات التي قام بها بعض الدارسين، **وكانت كالتالي**:

بالسكن: ١٦٤ حالة، الموسي: ١٠٨ حالات، بلطة صغيرة: ٣٠ حالة، منجل: ٢٣ حالة، حديد زجاج صفيح: ١٧ حالة.

اختلف الموقع الدقيق للعملية بشكل كبير، ففي ٦٢٠ حالة حقق فيها البوليس، حدث الخفاء في ٩٦ حالة في المنازل ١٩ حالة، وفي السجون ٤١ حالة، وفي الحمامات ٣٢ حالة، وفي الإصطبلات ٦ حالات، وفي المستودعات والأقبية ١٣٦ حالة، وفي الغابات ٢٢٣ حالة.

ولو كانت السلطات غير قادرة على أن تُحصي الممارسات والمعتقدات الغريبة للخصائين فإنها كانت - على الأقل - تتوافق مع الشكل الملائم تحت العنوان: أين كانت ترتكب مثل هذه المخالفات؟

وكانت النساء متطرفات مثل الرجال، ويمكن القول أنهن كن يمثلن ٤٠% داخل الجماعة. وقد قيل بأن العملية كانت مخيفة لدرجة مثيرة، ووجدنا نساء بين القائمين، فبين ثلاث وأربعين فلاحة، كانت خمس نسوة يقمن بإجراء الخصاء على الرجال، وكانت نسبة النساء أربعة أضعاف من عشرة في المتوسط.

طرح الخصاؤون شباكهم بشكل واسع بحثًا عن المهتدين، وفي عام ١٨١٥م لوحظ أن عدد الأرستقراطيين قليل، لأن روسيا كانت تمتاز بأنها

زراعية، وبذلك تبقى النسبة طبيعية لتلك النسبة للمجتمع.

وبأخـذ عينـة طبقيـة كانـت هنـاك أربـع سـيدات، وأربعـة رجـال نـبلاء، وعشـرة عسـكريين، وخمسـة ضـباط بحـريين، وأربعـة عشـر موظفًـا مـدنيًا، وتسـعة عشـر راهبًـا، و١٤٨ تـاجرًا، ٢٢٠ مواطنًـا، و٢٧٣٦ فلاحًـا، بيـنهم ٨٢٧ مـن النسـاء، ١١٢ أصـحاب أراضـي، ٤٤٣ جنديًا، وزوجات جنود وبناتهم...

أدت مُحاولات تحطيم الطائفة في حالات عديدة إلى زيادة قوتها، وهي حقيقة تكهن بها وروجها الأعضاء بنشاط، فالخصاؤون الذين وضعوا الاهتمام بالنساك حولوا الرهبان والراهبات لتعاليمهم، على الرغم من الرعب الذي رأوه في دخولهم، وأدت عدم شعبية رجال الدين والشرطة إلى أن عددًا كبيرًا من حالات المنافسة على مستوى الأفراد الذين أرادوا أن يشاركوهم المصير نفسه.

يقتنع الملاحظون بأن الطريقة الوحيدة لوقف انتشار الجماعة كانت بنفي أعضائها إلى أماكن أخرى غير شعبية، بأن يتركوهم هناك ليموتوا تلقائيًا.

ولـوحظ عـائق آخـر مـن عوائـق تحطـيم الحركـة خـلال بدايـة القـرن العشـرين وهـو يتعلـق بـأنهم بنـوا كنـائس كثيـرة ودفعـوا أمـوالاً طائلـة للقسـس والرهبـان والمـوظفين، وأصـبح ينظـر إلـيهم - عمومًـا - باعتبـارهم محسـنين مـن قبـل عـدد كبيـر مـن النـاس الـذين كـانوا يمنعون من القيام بواجبهم لحماية المجتمع منهم.

وقـد أُلقـي بعـض الضـوء مـن خـلال البحـث النفسـي الحـديث علـى لغـز قـوة الخصـائين، فمـن المعـروف قـدم الخصـاء الفعلـي، وتقطيـع الـذات فـي أشكال النشاطات الدينية الغارقة والمصبوغة بالإحساس بالندم.

يعتقـد الـدكتور منبجـر فـي كتابـه (الإنسـان ضـد نفسـه، لنـدن ١٩٣٨) أن هـذه الفرقـة وأخـرى مثلهـا تنبـع مـن دافـع تـدمير الـذات، هـذا الـدافع يمكـن أن يوجـد، وأن ينمـو فـي كثيـر مـن النـاس سـواء وضـع باسـم الـدين، أو وضـع تحـت أي اسـم آخـر، فهنـاك أنـاس - حتـى هـذا اليـوم

- في أجزاء عديدة من العالم سوف يدعون بأن تعذيب أو تقطيع الذات هو مجرد خطوة للحصول على البصيرة الروحية الباطنية.

ويبدو ارتباط هذا الدافع بفكرة التضحية أمرًا غير مشكوك فيه كليًا، أما ما بقى ويستحق الجدل، هو: هل كل أشكال تدمير الذات هو مجرد حالات عقلية؟ أم أنه يوجد هناك في الحقيقة منبع داخلي يمكن أن يتفجر عبر هذه الوسائل؟ يصل قليل من الناس إلى أعماق الخصاء التى لا سبيل إلى الوصول إليها لكي يكتشفها، وقد يعتمد نجاح الخصَّاء في جذب الجماهير، وتحويلها على وجود المعلمين إلى حد كبير لوضع فكرة سائدة في عقول الناس القابلين للإيحاء، فلو كان هذا الفرض صحيحًا، ولا توجد معرفة سرية لتلك التي قيل عنها في اعترافات الخصائين، فليس محتملاً أن يكون للجماعة مستقبل مذهل كما كان في الماضي.

وفي الصحف والدوريات إشارات عن بقاء الجماعة واستقرارها، سواء في جمهوريات الاتحاد السوفيتي القديم أو في رومانيا، حيث لا يزال يوجد منحدرون من المنفيين الأوائل [1].

وبعد ما أوردناه فيما تقدم حول الخصائين قد يهمنا أن نبرر فيما يلي أهم نقاط الالتقاء بين الخصائين والماسونية:

أ- الدعوة لهدم الدين المسيحي، وهو باب من أبواب الماسونية واليهودية.

ب- أن الخصاء وقطع النسل ليس إلا هدفًا من أهداف اليهود الذين يرون في كثرة البشر هلاكًا لليهود، ولهذا؛ ظهرت الدعوات لتحديد النسل، ونادوا بنظرية مالتوس من أجل تحديد النسل والغذاء.

هذه من أهم المنظمات السرية في التاريخ والتي قامت تدعم الماسونية، ولا عزو فإن المنظمات السرية كثيرة كما رأينا، وسنرى بعد، والخصاؤون واحدة منها.

(١) يراجع أيضًا الماسونية والمنظمات السيرة لعبد المجيد همو.

تاسعًا: النبوءة التوراتية الإنجليلة وظهور النظرية التدبيرية:

ظهرت الطائفة الإنجليلة الأصولية في أواخر القرن الثامن عشر ممسكة بمقاطع من الإنجيل، تلك التي تتحدث عن نبؤات آخر الزمان، وبالتحديد سفر الرؤيا وهي التي تتحدث تحديدًا عن معارك آخر الزمان المسماة " بالهرمجدون ".. في الفصل السادس عشر لإنجيل يوحنا. حيث سيقاتل ملايين الرجال من جيش الشرق لمدة عام وسوف يصل هذا الجيش إلى نهر الفرات، بعد أن يدمر كل شيء... إنها الحرب النووية التي ستقضي على الأخضر واليابس، وتنتهي عمر الكرة الأرضية، ولا يبقى - حسب زعمهم - إلا قلة من اليهود يكملون ما تبقى من عمر الأرض.

وجاء سفر حزقيال ٣٨، ٣٩ ليضيف أيضًا تلك الحرب النووية قائلاً:

" ستنهمر الأمطار وتذوب الصخور، وتتساقط النيران وتهتز الأرض وتتساقط الجبال وتنهار الصخور وتتساقط الجدران على الأرض في وجه كل أنواع الإرهاب.

وفي سفر زكريا ١٢/ نجد وصفًا آخر لتلك الحرب:

" إن جلودهم سوف تتآكل وهم واقفون على أقدامهم، وإن عيونهم سوف تتآكل كل ما فيها وأن ألسنتهم سوف تتآكل داخل أفواههم ").

وفي سفر حزقيال:

" وتستمر سبعة أشهر حتى يتمكن بيت إسرائيل من دفنهم قبل أن ينظفوا الأرض ".

ولا ننسى أن النصوص تشير إلى نزول المسيح عليه السلام لقيادة تلك المعركة، ويمسك بزمام الأمور، وهو ما يسمى - كما قدمنا من قبل - بالحكم الألفي للسيد المسيح على الأرض ويعرف عند المسيحيين بالمجيء الثاني، أما اليهود فإنه يمثل عندهم المجيء الأول للمسيح!!

هذا هو ما يروج له الإنجيليون الأصوليون في أمريكا وأوروبا، أو

الحركة الصهيونية المسيحية التي تسيطر على أمريكا منذ القرن الماضي وحتى الآن، وهذا ما دفع الولايات المتحدة إلى خوض الحروب والتدخل العسكري في منطقة الشرق الأوسط، وخاصة في أرض الفرات، أرض العراق كي تكون بمقربة من أرض المعركة الأخيرة.. " الهرمجدون ".. على أرض فلسطين المحتلة. **حتى إن الرئيس السابق للقساوسة الإنجيليين (س.س كريب) كتب عام ١٩٧٧ يقول:**

في هذه المعركة النهائية فإن المسيح الملك سوف يسحق كليًا ملايين العسكريين المتألقين الذي يقودهم الديكتاتور المعادي للمسيح.

يقول الكاتب هال ليندسي في كتابه الشهير " آخر أعظم كرة أرضية " :

إن دولة إسرائيل هي الخط التاريخي لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل.

ويضيف الكاتب:

قبل أن يصبح اليهود أمة لم يكشف عن شيء، أما الآن وقد حدث ذلك فقد بدأ العد العكسي - التنازلي - لحدوث المؤشرات التي تتعلق بجميع أنواع النبوءات، ولأنه يجب أن تظهر هناك دوائر لقوى سياسية معينة واستنادًا إلى النبوءات فإن العالم كله سوف يتمركز على الشرق الأوسط وخاصة على إسرائيل في الأيام الأخيرة، أن كل الأمم سوف تضطرب وسوف تصبح متورطة بما يجرى هناك. إن باستطاعتنا الآن أن نرى أن ذلك يتطور في هذا الوقت ويأخذ مكانه الصحيح في مجرى النبوءات تمامًا كما تأخذ الأحداث اليومية في مواقعها في الصحف اليومية.

وهال ليندسي مؤلف " آخر أعظم كرة أرضية " هو أحد المبشرين الإنجيليين الأمريكان وهو من المؤمنين بأن الجيل الذي ولد عام ١٩٤٨ هو جيل النهاية، وهو الذي سيشهد " حرب هرمجدون ".

وعن هذه الحرب يقول في كتابه:

عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى، بحيث يكون كل شخص تقريبًا قد قتل، تحين ساعة اللحظة العظيمة، فينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل... وفي هذه الساعة سيتحول اليهود الذين ينجون من الذبح إلى المسيحية.. وسيبقى فقط ١٤٤ ألف يهودي على قيد الحياة بعد معركة هرمجدون، وسينحني كل واحد منهم، الرجل والمرأة والطفل أمام المسيح، وكمتحولين إلى المسيحية فإن كل الناجين سوف يبدؤون ببشارة المسيح.

هذا هو فكر الإنجيليين الأصوليين في أمريكا، وفكر قادتهم.

وقد ظهر جليًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م ذلك الفكر التدميري المنسوب إلى نبوءات التوراة والإنجيل فيما يفعله بوش الأب والابن في أراضي الشرق من قتل وتدمير، وما يفعله الإسرائيليون في فلسطين المحتلة من إبادة الشعب الفلسطيني بأكمله، وذلك لأن من مقدمات حدوث معركة هرمجدون التي جعلهم الإيمان بها أن يذبحوا المسلمين على أرض الميعاد، ويقدموا كفرًا بين للرب.

لقد أعلن القس " بات روبرتسون " وكان أحد المرشحين لرئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٨٨م في الانتخابات الأولية للحزب الجمهوري في برنامجه التليفزيوني " نادي السبعمائة " أن شارون رئيس وزراء إسرائيل أخطأ الحل الصحيح، لأنه يريد أن يقضي على الفلسطينيين بالقطاعي، والصواب أن يقضي عليهم جملة واحدة بضربة واحدة**!!!**

والمبرر لدى هذا القس الأمريكي الذي كان من الممكن أن يصبح رئيسًا للولايات المتحدة أن المسلمين أشرار ونبيهم شرير، وإلههم شرير، ويقرأ دائمًا - دون وعي أو إدراك لما يرد في القرآن الكريم من معاني الآيات التي لا ينفك بعضها عن بعض - ترجمة قول الله تعالى في سورة التوبة:

{ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ } [التوبة: ٥].

هذا هو الفكر الديني والسياسي لقادة ومفكري أمريكا الذين يتحكمون في القرار السياسي والعسكري لأكبر دولة في العالم.

لقد أصبح لديهم أن كل ما تفعله إسرائيل من غزو وقتل وإبادة جزءًا من إرادة الرب وتحقيقًا لما جاء في نبوءات التوراة والإنجيل، ووضعوا قدمي الولايات المتحدة على حافة النهاية، وربطوا مصيرها بمصير دولة إسرائيل حتى أصبحت أمريكا إحدى ولايات إسرائيل وليس كما يعتقد البعض بالعكس.

ويوم كان للروس دولة عظمى ومكانًا خطيرًا في ميزان القوى قبل تفكك الاتحاد السوفيتي في القرن الماضي على أيدي الماسونية الصهيونية والولايات المتحدة وصنائعهما كان الإنجيليون الأمريكيون يظنون بأن الروس هم يأجوج ومأجوج المذكورون في الكتاب المقدس وأنهم هم الذين سيقودون جيش الشر في معركة هرمجدون. ونظروا إلى تحالف بعض الدول الإسلامية العربية مع الاتحاد السوفيتي على أنه مبشرات النهاية أو نهاية المرحلة السابقة والأخيرة من عمر الكرة الأرضية، وهي مرحلة الذروة وإقامة مملكة المسيح الألفية حيث يحكم المسيح من مدينة القدس العالم ألف سنة وأن اليهود سوف يتحولون إلى المسيحية، وأن على العرب مغادرة أرض اليهود التي يسكنونها من النيل إلى الفرات لأن هذه الأرض تخص اليهود وهي عطاء الرب لهم كما يزعمون.

وقد يدعى البعض أن في هذا إفراط في التحليل لمجريات الأمور - ولكن ليس هناك دليل أكبر من أفعال وأقوال أصحاب الشأن أنفسهم المساهمون في صنع القرار الأمريكي أمثال " جيري فولويل " المبشر الإنجيلي ومستشار الرئيس الأمريكي الأسبق الراحل (ريجان).. **فتقول الكاتبة الأمريكية جريس هالسل في كتابها النبوءة والسياسة:**

كان رونالد ريجان واحدًا من الذين قرؤوا كتاب " آخر أعظم كرة أرضية " فهل هول مثل لندسي يؤمن بأن الله قد قضى أن على هذا الجيل بالتحديد الذي يعيش في الوقت الحاضر أن يدمر الكرة الأرضية، وهل

بدأنا عملية العد العكسي (التنازلي) للقضاء على أنفسنا؟

وتضيف الكاتبة:

في وقت مبكر من عام ١٩٨٦م أصبحت ليبيا العدو الدولي رقم واحد لرونالد ريجان فهل يعود ذلك إلى نبوءة توراتية، إستنادًا إلى " جيمس ميلز " الرئيس السابق لمجلس الشيوخ في ولاية كاليفورينا، فإن " ريجان " كره ليبيا لأنه **رأى ليبيا هي واحد من أعداء إسرائيل الذين ذكرتهم النبوءات** وبالتالي فإنها عدو الله.

وفي عشاء أقيم عام ١٩٧١ في " مدينة سكرمنتو " في كاليفورنيا - حيث كان ريجان حاكمًا لها تكريمًا لـ " جيمس ميلز " بدأ ريجان فجأة يتحدث إلى " ميلز " الذي كان يجلس بجانبه حول النبوءات الإنجيلية وحول قيمة مقاتلتنا للاتحاد السيوفيتي - يأجوج ومأجوج - في الكتاب المقدس - ويذكر ميلز هذا الحادث في عدد شهر أغسطس ١٩٨٥ من مجلة " سان ديجو " ويقول أن ريجان أخبره بتأكيد جازم: " أن هناك تأكيد جازم في الفصل ٣٨ من إصحاح حزقيال هناك نص يقول: أن أرض إسرائيل سوف تتعرض إلى هجوم تشنه عليها جيوش تابعة إلى دول لا تؤمن بالله، وتقول: إن ليبيا ستكون من بينهم، هل تفهم ماذا يعني ذلك؟ إن هذا مؤشر إلى أن هرمجدون ليس ببعيد ".

ويقول الباحثان " لارى جونز " من نيويورك وأندرولانج في المعهد المسيحي الإنجيلي في مدينة واشنطن أن **دراستهما تقنعهما بأن " ريجان " قبل في الماضي تفسيرًا توراتيًا لنبؤة تقول بأن حرب هرمجدون حرب نووية وهو أمر لا يمكن تجنبه، واستمر هذا الاعتقاد لديه حتى عام ١٩٨٦.**

ظهور النظرية التدبيرية:

تعود هذه النظرية التدبيرية وانتشارها في الولايات المتحدة إلى جهود " سايروس إنجيرزون سكوفيلد " المولود عام ١٨٤٣م في كلنتون بولاية

" متشجن "، وقد تأثر " سكوفيلد " بنظيره الأيرلندي " جون نلسون داربي " الذي عاش في القرن التاسع عشر الميلادي ودرس في كلية " ترنيتي " في دبلن ثم عمل قسيسًا في إنجلترا، **وقال**:

" إن لله مخططين، وإن عند الله مجموعتين من الناس يتعامل معهما، وأن إسرائيل كانت مملكة الله على الأرض وأن الكنيسة المسيحية كانت مملكة الله في السماء ".

وزار " جون نلسون داربي " كندا وأمريكا وأثر في عقيدة راعي الكنيسة المسيحية في " سانت لويس " القس " جايمس بروكس " ومن هنا بدأ تأثر " سكوفيلد " وإيمانه بنظرية " داربي " التدبيرية القائمة على النبوءات التوراتية الإنجيلية والتي لها التأثير الكبير في صنع القرار السياسي الأمريكي!! لقد جعل " كوفيلد " و " داربي " النبوءة الدينية في المقام الأول لفهم المسيحية.

ومع بداية عام ١٨٧٥م عقد " سكوفيلد " عدة مؤتمرات حول النبوءات في الكتاب المقدس وشرح مخطط الله على الأرض من أجل إسرائيل ومخطط الله في السماء من أجل خلاص المسيحيين وأدخل تفسيرات على النظام الإيماني للإنجيل.

وفي عام ١٩٠٩م طبع أول مرجع إنجيلي وضعه " سكوفيلد " وأصبح أكثر الكتب المتداولة حول المسيحية وطبع منه ملايين النسخ.

وقد برع " سكوفيلد " في شرح آرائه الشخصية حول نبوءات الإنجيل، وأوضح أن تاريخ الإنسان ينقسم إلى مراحل محددة حيث أن الله يتراءى للإنسان بطرق مختلفة.

أما المرحلة " التدبيرية " فيقول عنها: " إنها مرحلة من الوقت يمتحن فيها الإنسان بالنسبة إلى طاعة الله وقسم المراحل المحددة إلى سبع مراحل مميزة، ويرى أنه لا أصل في هذا العالم أن يعيش في سلام وأن

العالم يتجه نحو كارثة حقيقية مدمرة ومعركة نهائية يقودها المسيح هي معركة هرمجدون وأن المسيح سوف يرفع أتباعه إلى السماء لينقذهم من تلك الكارثة المحققة.

وقد توغلت تلك المفاهيم الخاطئة لنبوءات الإنجيل في وجدان الشعب الأمريكي منذ القرن التاسع عشر الميلادي وحتى القرن الواحد والعشرين، حتى إن دراسة لمؤسسة " نلسن " نشرت في أكتوبر ١٩٨٥ تقول أن ٦١ مليون أمريكي أي ٤٩% من المشاهدين يستمعون بانتظام إلى مبشرين يقولون لهم أننا لا نستطيع أن نفعل شيئًا لمنع حرب نووية تنفجر في حياتنا، ومن أكثر الإنجيليين شهرة الذين يبشرون على التليفزيون بنظرية هرمجدون.

ومن أشهر الشخصيات الإنجيلية الأصولية دعاة الهرمجدون ومؤيدي الدولة الإسرائيلية المؤثرين في الشعب الأمريكي القس " بات روبرتسون " الذي يستضيف برنامجًا مدته ٩٠ دقيقة يوميًا في نادي السبعمائة (نسبة إلى ٧٠٠ مساهم معه) وهذا البرنامج يصل إلى ١٦ مليون عائلة أمريكية أي حوالي ٢٠% من الأمريكيين. ويوظف روبرتسون حوالي ١٣٠٠ شخص لإدارة شبكة التليفزيونية المسيحية (س. بي. إن) وتضم ثلاث محطات تليفزيونية ومحطة راديو ومراسلين في ٦٠ دولة، وتقدم برامج إخبارية ودعائية لإسرائيل.

ومن الشخصيات التي أثرت في صنع القرار الأمريكي فترة حكم ريجان المبشر " جير فولويل " الذي يلقي درسوه التبشيرية الأسبوعية إلى حوالي ٥,٦ ملايين منزل بالولايات المتحدة أي حوالي ٦,٨% من المشاهدين.

وكان جير فولويل من مؤيدي التمييز العنصري في جنوب أفريقيا، ومن أشد أنصار الدولة اليهودية الإسرائيلية ومروجي الهرمجدون.

ومن أشهر المبشرين المقبولين جماهيريًا ويملك ثاني أكثر المحطات التليفزيونية الإنجيلية شهرة حسب استقصاء مؤسسة نلسون، ويصل

صوته إلى نحو ٥,٥ % من المشاهدين الأمريكان.

وهناك " جيم بيكر " الذي يملك أشهر ثالث المحطات التليفزيونية الإنجيلية، وهو أحد تلامذة " روبرتسون " ويصل صوته إلى ٦ ملايين بيت في الولايات المتحدة، وهو يعتقد مثل جميع " التدبيريين " بالمجيء الثاني للمسيح وبمعركة الهرمجدون، ومحطته التليفزيونية تحقق أرباحًا تقدر بأكثر من ١٠٠ مليون دولار أمريكي.

وهناك " كينين كوبلاند " الذي يصل صوته إلى ٥ مليون أسرة مشاهدة لبرامجه التبشيرية، وهو يرى أن إسرائيل الحديثة وصهيون الإنجيلية شيء واحد، ويردد أن الله أقام إسرائيل وهو الذي يحميها.

وريتشارد دي هان، الذي يصل برنامجه التليفزيوني التبشيري المسمى " يوم كشف النظام " إلى نحوه مليون منزل.

وأورال روبرتس، وتصل برامجه التليفزيونية إلى نحو ٦ ملايين أسرة أمريكية من المشاهدين ويقول أورال أن الله طلب منه أن ينشئ هذه الجامعة، وأن الله أخبره في عام ١٩٦٨ أن يترك الكنيسة المقدسة في نبتيكو ستال، وأن يصبح قسيسًا في كنيسة " ميثوديت ".

والجدير بالذكر أن من بين ٨٠ ألف قسيس إنجيلي يذيعون يوميًا من خلال ٤٠٠ محطة راديو، والأكثرين منهم من التدبيريين المؤيدين للنظام العنصري في إسرائيل، وهم بالقوة بمثابة الملوك المتوجين على العرش الأمريكي، ويجمعون ملايين الدولارات يوميًا، ومعظم المدارس الإنجيلية في أمريكا تدرس النظام الديني ونظرية هرمجدون [١] وأن الخلاص في الحرب المدمرة سيكون على أرض هرمجدون بفلسطين.

* * *

(١) مجدون تل يقع على وادي يسمى يزرعيل على بعد ٢٠ ميل من شرق حيفا وهي تعني جبل وأضيفت إلى مجيدون.